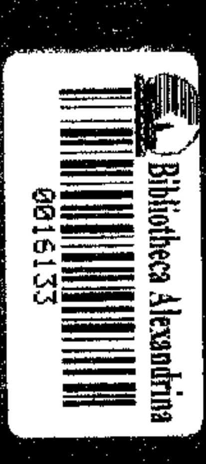


تاريخ الفكر المسيحي

بقلم
الدكتور القس حنا الخضرى

الجزء الرابع



تاريخ الفكر المسيحى

الجزء الرابع

بقلم

الدكتور القس حنا الخضرى



طبعـــة أولـــى

تاريخ الفكر المسيحى جـ ٤
صدر عن دار الثقافة ص . ب ١٢٩٨ – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٢٥ / ١٩٩٤
جمع فى سنيوبرس
طبع بمطبعة سجل العرب

هـذا الكتـاب

هو الجزء الرابع من « **تاريخ الفكر المسيحى** » .

وهو الجزء الذى يركز على الأحداث التى حدثت فى الكنيسة بعد مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ م . فقد انقسمت الكنيسة بشأن قرارات هذا المجمع بين مؤيد لوجود طبيعتين للمسيح ومعارض لذلك ، و لم يقتصر الانقسام على الاختلاف الفكرى فقط بل تحول اختلاف الرأى إلى مظاهرات وحروب واضطهادات . وأراد أصحاب كل رأى اخضاع أصحاب الرأى الآخر ولو بالقوة . وتدخل الأباطرة الرومان – وزوجاتهم أحياناً – فى هذا الخلاف مما وسع الهوة وصار كل فريق يستعدى الامبراطور الرومانى ضد الفريق الآخر . ولاشك أن القارىء سيذهل لمقدار العداوة بين الفريقين مما لا يتناسب أبداً لا مع الموضوع ولا مع روح المسيح الذى علمنا « أن نحب بعضنا بعضاً من قلب طاهر وبشدة » .

لكننا فى وسط هذا الخضم من المشاحنات نعجب بشخصيات قيادية رائعة دافعت عما اعتبرته الحق رغم كل الاضطهادات والصعوبات والحرمانات .

نقدم هذا الكتاب للباحثين لعلنا نتعلم أن البحث العقيدى دون محبة يولد خصومات ويقسم جسد المسيح بل ويقطع أوصاله .

ومن أسف أن آثار هذا الخلاف مازالت باقية رغم مرور عدة قرون ورغم محاولة القيادات إعادة تقييم الموقف .

ونحن ننشر هذا الكتاب نذكر المؤلف الباحث الذى أثرى المكتبة العربية بأبحاثه فى هذه الأجزاء الأربعة . ونأسف لأنه لم ير هذا الجزء بعد طباعته فقد انتقل قبل أن يسلمه للدار وقامت مجموعة من أصدقائه بجمع مادة الكتاب من مسوداته . نعم وإن مات الدكتور القس حنا الخضرى لكنه يتكلم بعد .

دار الثقافة

المحتويات

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الفصـل السـابـع :

الفصـل الثـامـن :

الفصــل الأول

موت الامبراطور مارسيانوس وتنصيب رئيس أساقفة [لاخلقدونى]

مات الامبراطور مارسيانوس ، وكان خلقدونياً فى ٢٦ يناير سنة ٤٥٧ ، ولكن لم (يُعرف) الخبر إلا فى نصف فبراير[١] وعندما وصل هذا الخبر إلى مسامع اللاخلقدونيين (الذين يعلمون بطبيعة واحدة ليسوع المسيح) انتهزوا هذه الفرصة التى كانوا ينتظرونها بشوق من مدة طويلة ؛ وخاصة بان ديونيسيس (Dionysius) قائد الجيش الحاكم والمسيطر على البلاد وكان فى ذلك الوقت فى صعيد مصر .[٢] فخرج معظم اللاخلقدونيين وعدد كبير جداً من الرهبان وانطلقوا إلى كنيسة كاساربرم (Caereum) فى مدينة الإسكندرية وطردوا منها كهنة بروتوريوس رئيس الأساقفة الخلقدونى الذى فرضته عليهم السلطات الحاكمة[٣] وأقاموا لحزبهم رئيس أساقفة جديد يدعى تيموثاوس القط .

ولقد اعتقد البعض بأن خصومه لقبوه بهذا الاسم استهزاءً به لضخامته وطول قامته[٤] وتمّ تنصيب رئيس الأساقفة اللاخلقدونى فى جو من الصخب والاضطراب فى يوم ١٦ مارس سنة ٤٥٧[٥] . وفى نفس الشهر ، بينما كانت المدينة كلها ورهبان الصحراء فى حالة قلق واضطراب وانزعاج ، رجع ديونيسيوس رئيس الجيش من الصعيد . وعندئذ أراد استعمال القوة والعنف لإخماد الثورة والسيطرة على الموقف . فأمر بالقبض على رئيس الأساقفة الجديد تيموثاوس اللاخلقدونى . وكان ديونيسيوس يعتقد بأن استعمال القوة وسيلة فعالة يستطيع أن يخمد بها ثورة الثائرين وأن يرجع الهدوء والسلام إلى المدينة . ولكن للأسف الشديد فإن القبض على رئيس الأساقفة

---

(1) W.H.C. Frend op.. cit P. 148 - 160; V.C. Samuel. op. cit. 96 - 100,

الدكتور أسد رستم – كنيسة مدينة الله ... ص ٣٤٨ .

(2) V.C. Samuel. op.cit 95 - 100; Hist. de. L' Eglise Aug Fliche et v. Martin op. cit. 278 - 282; (Bardy).

(3) Jean Danielou.. H. Marron. Nov.. Hist.. de l. Eglise deo Origine à Greg.. le Grand. 395 - 404.

(4) Bardy. op.cit 279.

(5) .... 280.

اللاخلقدونى ، دفع بأتباعه من الشعب والرهبان إلى الثورة والغضب . ففى يوم ٢٨ مارس ٤٥٧ اندفعت الجماهير الثائرة إلى الكنيسة التى كان يقوم فيها بروتوريوس رئيس الأساقفة الخلقدونى بالخدمة الدينية وذبحوه . ولم يكتف الشعب بهذا العمل الشنيع المريع ، بل علقوا جسده فى وسط مدينة الإسكندرية ، وبعد ذلك جُرت جثته فى الشوارع ، وأخيراً أُحرقت الجثة إلى أن تحولت إلى رماد ذروه فى الهواء . ويعتقد البعض بأن الذى قام بهذا العمل الشنيع المحزن هو الأسقف الجديد تيموثاوس اللاخلقدونى[1] أما البعض الآخر – وهم الأغلبية – ونحن نتفق معهم ، فيعتقدون بأن الشعب والغوغاء والجماهير المتعصبة هم الذين ارتكبوا هذه الجريمة[2] على أن بعض المؤرخين أمثال زكريا يعتقد بأن الذى اغتال بروتوريوس هم الجنود[3] .

وأمام هذه الثورة الشعبية اضطر الحاكم إلى استدعاء تيموثاوس للرجوع إلى مدينة الإسكندرية وممارسة عمله كرئيس أساقفة لحزب اللاخلقدونيين .

ما هى تعاليم تيموثاوس اللور الكرستولوجية ؟

مع أن رئيس أساقفة الإسكندرية قبل تعاليم كيرلس وحاول نشرها ، فإنه رفض كلياً وجزئياً تعاليم أوطيخا التى تنادى بوجود طبيعة واحدة ممتزجة أو مخلوطة مع اللاهوت . فلقد علّم هو أيضا بوجود طبيعة واحدة فى الكلمة المتجسد . ولكن حاول أن يميّز بين عنصرى اللاهوت والناسوت . فنادى بوجود لاهوت وناسوت فى شخص المسيح يسوع . وكما أنه يعلم أيضا بأنه لم يحدث أى تغيير أو اختلاط بين اللاهوت والناسوت عند الاتحاد . كما أنه استهزأ بأوطيخا الذى نادى بوجود طبيعتين فى الكلمة قبل التجسد وطبيعة واحدة بعد التجسد[4]. ويعتقد تيموثاوس بأن الاصطلاحات:

---

(1) Aug. Fliche... G. Bardy 280. op. cit; أسد رستم ٣٤٨ .

(٢) يوحنا لورنس فان موسهيم ، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ص ٢١٩ .

Hefele Tome 3, P. 857 - 9; Hurphy op. cit. 34 - 39; Samuel G. Green. D.D. A. Hand book of Hist.. from the Apostolic E.R.A. To the dawn of the Reformation. P. 298 - 302; Tixeront T.3. 103 - 108. G. Bardy. Op. cit. 281.

(3) Zacharie op. cit. 170 - 172; V. C. Samuel. 96 - 100; G. Bardy. op. cit. 281.

(4) Murphy op. cit. 38 - 45.

جوهر ، طبيعة ، يروزوبون ، أقنوم ، كلها مترادفات لا تعنى إلا حقيقة ملموسة محسوسة هى شخص الرب يسوع المسيح(١) ...

كان تيموثاوس القط (اللور) يرأس الحزب المونوفيزيتى الذى قاد الثورة ضد بروتوريوس (بعد عودته من النفى ، إذ أنه كان مع ديوسقوروس فى منفاه) . ولقد قام بهذه الثورة المريعة التى راح ضحيتها عدد كبير من الناس لأنه كان يعتقد أن قرارات مجمع خلقدونية وتعاليم رسالة البابا ليون تعتبر هرطقة شنيعة ، وكيف لا تعتبر هرطقة وهى تخالف مفهومه ، وتنادى بوجود طبيعتين متميزتين : صحيح بأن تيموثاوس كان يعتقد بوجود اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح الواحد ، وبناء على ذلك لا يوجد إلا إقنوم واحد جوهر واحد طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد . ولكنه اعتبر بأن التعاليم التى تنادى بازدواجية الطبيعة فى المسيح هى تعاليم هرطوقية . لأنها تقسم المسيح الواحد والابن الواحد إلى مسيحين ، وهى التعاليم التى رفضها القديس كيرلس ومجمع أفسس الأول الذى حكم على نسطوريوس بالحرم لأنه نادى بهذه الهرطقات ، فكيف يقبل وهو تيموثاوس خليفة دسقوروس وكيرلس – مثل هذه التعاليم المخالفة – حسب اعتقاده – لتعاليم الآباء !!! .

كان تيموثاوس اللور رئيس الأساقفة اللاخلقدونى ، متعصباً لحزبه ومتحمساً لنشر التعاليم التوحيدية : يعنى وجود طبيعة واحدة فى المسيح يسوع . ولذلك فعندما جلس على كرسى مرقس دعى حزبه لعقد مجمع . ولقد تقرر فى هذا المجمع الذى رأسه تيموثاوس اللور ما يأتى :

(١) طرد بعض أو كل الأساقفة الخلقدونيين من الكنائس المصرية ، وتعيين أساقفة مونوفيزيتيين بدلاً منهم .(٢) .

(٢) رفض ، لا بل حرم ، مجمع خلقدونية وقراراته ورسالة البابا ليون رئيس أساقفة روما إلى فلافيان رئيس أساقفة القسطنطينية . وهى الرسالة (Tome) العقيدية التى تشرح سر التجسد ووحدة الطبيعتين اللاهوت والناسوت فى المسيح(٣) .

---

(1) Timothée Aelure. Refutation de la dé finition de Chalce doine Ed. F. Nau. Paris 1919; po. 13 - 229 Murphy 38 - 45.
(2) The new monophysistes. Schaff- Herzog. op.cit p. 473 - 477; L. Hefélé T. 3. 857 - 860;
(3) .... ;

الفصل الثانى

الإمبراطور ليون الأول
(من سنة ٤٥٧ - ٤٧٤)

تربع الإمبراطور ليون الأول على عرش الإمبراطورية فى الشرق فى ٧ فبراير سنة ٤٥٧ ، وكان خلقدونياً[١] وقام بمراسيم الحفل ووضع التاج على رأس الإمبراطور الجديد رئيس أساقفة القسطنطينية عناتول أوعناتليوس[٢] وكان الإمبراطور ليون يحتاج إلى فترة تمرين وخبرة فيما يخص المشاكل الكنسية والعقائدية ، لأنه كان يجهل الكثير منها .

قام رئيس أساقفة الإسكندرية بحملة اضطهاد ضد حزب الخلقدونيين المعارض لحزبه[٣] وكان بعض أعضاء هذا الحزب أثرياء جداً[٤] ولهم علاقات واتصالات بالهيئة الحاكمة التى كانت تميل إلى جماعة الخلقدونيين وتشجعهم . ولذلك لم يقف أعضاء حزب الخلقدونيين أمام هذه الاضطهادات التى شنها تيموثاوس اللاخلقدونى صامتين ، بل اشتكوا إلى الإمبراطور واتهموا اللاخلقدونيين بالهرطقة الأبولونوريوسية ، (وكانت الكنيسة قد حكمت على التعاليم التى نادى بها أبولوناريوس بالهرطقة)[٥] ، والتمسوا من الإمبراطور الجديد الحكم على تيموثاوس الذى ينادى بنفس التعاليم . كما أنهم (الخلقدونيون) اعترضوا بشدة على انتخاب تيموثاوس اللور وقالو إن هذا الانتخاب تمّ فى جو من الفوضى ، فلا يعتبر انتخاباً قانونياً . وبناء على ذلك يجب خلعه[٦] .

---

(1) W.H.C. Frend. op. cit. p. 156 - 158.
(2) William p. du Bose. Stdd... Vol. 3.p. 266 - 272;
(3) J. Tixeront 3 vol. p. 104 - 110;
(4) W.H.C. Frend. op. cit. p. 161 - 165.
(٥) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى - الجزء الثانى ص ٤٥ - ٤٩ .
(6) T.R.Gray op. cip. p. 180 - 283; Evagrius. eccl. His., v.c. Samuel 96 - 105.

وفى نفس الوقت كتب أيضا اللاخلقدونيون إلى الإمبراطور الجديد طالبين مساعدته لهم ، وتأييد تيموثاوس رئيس الأساقفة[1] . كما أن البعض أرسل أيضا الشكاوى ضد رئيس أساقفة الإسكندرية إلى البابا فى روما وكذلك إلى رئيس أساقفة القسطنطينية[2] .

وأمام هذه المشكلة الكنسية العقيدية وجد الإمبراطور الجديد ليون الأول نفسه فى مأزق حرج . فماذا يعمل ؟ إن الحزبين يلتمسان تدخله ومساعدته . وكان كل حزب يأمل طبعاً فى مساعدته للانتصار على الحزب الآخر . فإن حزب اللاخلقدونيين ، وعلى رأسه رئيس الأساقفة تيموثاوس الذى عُرِفَ بروح التعصب ، كان ينادى بوجود طبيعة واحدة فى شخص الرب يسوع ، ويعتبر أن رسالة البابا ليون التى تعلم بوجود طبيعتين قد قسمت المسيح الواحد إلى مسيحين ، كما أن وجود طبيعتين يعنى أيضا بالنسبة له وجود ابنين ، ابن الله (الكلمة) وابن الإنسان (الناسوت) . وهذا لا يمكن قبوله لا بل يجب محاربته . مهما كلف الأمر ، لأنه لا يوجد إلا مسيح واحد ورب واحد ، وسيد واحد ، وهو السيد يسوع المسيح . وبناء على ذلك فقد رفض رسالة ليون وقرارات مجمع خلقدونية .

وأما حزب الخلقدونيين فقد تمسك طبعاً برسالة ليون وقرارات المجمع . إذ أنه علّم بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى . لكن هذا الاتحاد تمّ بدون اندماج أو انفصال أو اختلاط . إن الطبيعة الإلهية الكلمة ، اللوغوس اتحد بالناسوت فى بطن مريم العذراء ، فلا يوجد مسيحان أو ابنان ، بل مسيح واحد ورب واحد وسيد واحد له طبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى .

تمسك الحزبان فى مصر كل منهما بعقيدته . وكان الإمبراطور ليون يعمل جاهداً منذ وصوله إلى السلطة على مصالحة الحزبين . ولذلك فقد فكّر فى بداية الأمر فى عقد

---

(1) T.R. Gray op cip. p. 180 - 283; Evagrius. eccl. His., v.c. Samuel 96 - 105.
(2) T.R. Grady. op. cit. 281.

مجمع للنظر فى قضية مجمع خلقدونية من جديد[1] على أن عناتول رئيس أساقفة القسطنطينية لم يوافق على هذا الاقتراح فَعَدل الإمبراطور عن فكرة عقد مجمع .[2] على أن الإمبراطور أرسل إلى كل أساقفة الإمبراطورية رسالة تحتوى على سؤالين وطلب من الأساقفة والرهبان الإجابة عليهما ، والسؤال الأول خاص بمجمع خلقدونية ، هل كان هذا المجمع قانونياً أو غير قانونى ؟ والسؤال الثانى خاص بسيامة تيموثاوس اللور . هل سيم بطريقة رسمية قانونية ؟ وهل يمكن الاعتراف به كرئيس أساقفة فى الإسكندرية للكرسى المرقسى ؟ وعندما وصلت رسالة الإمبراطور إلى الأبرشيات اجتمعت المجامع الرئيسية وكانت النتيجة بأن كل الأساقفة (حوالى ١٦٠٠ اسقفاً) أعلنوا للإمبراطور قانونية مجمع خلقدونية والتمسك بكل قراراته . كما أن كل من الرهبان : سمعان ويعقوب الكورشى وفارادات وهم من أشهر الرهبان فى عصرهم . أعلنوا موافقتهم واتفاقهم مع مجمع خلقدونية . أما فيما يتعلق بموضوع تيموثاوس ، فإن إجابات كل الأساقفة خارج مصر واتباع الحزب الخلقدونى فى مصر كانت متفقة تقريباً على أن سيامته لم تكن قانونية ويجب خلعه .[3] .

كان من المنتظر بأن يُخلَعَ تيموثاوس حالاً من منصبه ، على أن الإمبراطور كان يرغب فى أن يجد حلاً سلمياً لكى يتفادى الصراع مع الحزب اللاخلقدونى وحتى تعيش الكنيسة والإمبراطورية فى سلام . فماطل الإمبراطور والحاشية فى خلعه وأرسل إليه بعض الوسطاء لمناقشته والتفاهم معه لإيجاد حل وسط يرضى الطرفين . ولكنه أصر على رفضه لقرارات مجمع خلقدونية والرسالة العقائدية التى كتبها البابا ليون . ولذلك فقد قُبِضَ عليه وأُرسل إلى المنفى . وعندما سمع أهل الإسكندرية بهذا الخبر هاجت المدينة مرة ثانية ثائرة . ويعرفنا المؤرخ زكريا بأنه قد هلك فى أثناء هذه الثورة الشعبية حوالى عشرة آلاف شخص . وبالرغم من ذلك فقد أرسل تيموثاوس اللور إلى المنفى حيث

---

(1) G.Bardy op. cit 281 - 82.

(2) ....

(3) L. Hefelé op. cit. Tom E.3. p. 858 - 860; Schaff - Herzog. ency.. op. cit. 474 - 476. The ecumenical councils, w.p. do bose. S.T.D. p. 268 - 271.

الكسندروس : ذُكر سابقاً (تاريخ الكنيسة المسيحية) ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة . يوحنا لورنس قاموسهيم : ذكر سابقاً ص ٢١٨ — ٢٢٠ .

حيث قضى فيه ما يقرب من خمس عشر سنة . ثم خلع سراً فى ديسمبر ٤٥٩ أو فى أول يناير ٤٦٠[١] .

١ - تنصيب بطريرك خلقدونى على كرسى مرقس فى الإسكندرية

بعد أن خُلِعَ ونُفِىَ تيموثاوس اللور ، اتجهت الأنظار إلى راهب باخومى[٢] يدعى هو أيضا تيموثاوس لكنه اشتهر بلقب سالوفاكيول (أو سالوفاكيولوس) Salofaciol أو Salofaciolus) أى صاحب العمامة البيضاء[٣] .

ولقد نُصّب سالوفاكيول رئيساً للأساقفة على كرسى مرقس فى سنة ٤٦٠ م وكان الرجل خلقدونياً . ولذلك فلم يقبله الحزب اللاخلقدونى التابع لتيموثاوس اللور ، ورفض أعضاء هذا الحزب الشركة معه . وبالرغم من ذلك فإن سالوفاكيول أظهر روح المحبة ومدّ يده فى عدة مناسبات للمصالحة والتعاون مع الحزب اللاخلقدونى . فقد وضع اسم ديوسفوروس الذى خلعه المجمع الخلقدونى إلى قائمة الأساقفة الذين يُذكر اسمهم أثناء القداس (وكان قد حُذِفَ اسمه منها)[٤] ولقد اتفق معظم المؤرخين على أن رئيس الأساقفة الخلقدونى كان يتمتع بأخلاق سامية محباً ، لطيفاً ، متسامحاً ومتعاوناً مع الحزب غير الخلقدونى ، ولذلك فإن عدداً لا بأس به من اللاخلقدونيين كانوا يُحبونه ويحترمونه ، ولكنهم رفضوا الشركة معه . ولقد ساد فى عهده سلام وهدوء على مصر وعلى شعبها .[٥] .

٢ - الثورة فى أورشليم وفى معظم مناطق فلسطين

صراع وقتال بعد مجمع خلقدونية فى أورشليم وفى فلسطين

كان الصراع عنيفاً والقتال دامياً مؤلماً محزناً فى مصر بين الحزبين المسيحيين

---

(1) T.R. Gray, op. cit. p. 19 - 24, W.H.C, Frend, op. cit. p. 158 - 169.

(2) W.H.C. Frend op. cit p. 160 - 165.

(3) J.Tixeront. 3. 105 - 108; W.H.C. Frend op. cit. 160 - 168, G. Bardy. op. cit. 284; Evagrius Hist. eccl., 2, 11.

(4) W.H.C. Frend op. cit. p., 163 - 165.

(٥) الكسندروس ، ذُكِرَ سابقاً ص ٢٦٨ . G. Bardy. op. cit. 284.

الخلقدونى واللاخلقدونى بعد مجمع خلقدونية . فلقد عاشت مصر فى حالة قلق واضطراب وانقسام وحرب حوالى تسع سنوات : منذ أن أمر الإمبراطور بتطبيق قرارات مجمع خلقدونية على كل كنائس الإمبراطورية إلى أن جلس على كرسى مرقس سالوفاكيول رئيس الأساقفة الخلقدونى . ولقد رأينا فى الصفحات السابقة بشاعة وفظاعة الحرب التى قام بها الحزبان المسيحيان فى مصر . وكان كل منهما يعتقد بأنه يملك الحق وكل الحق باسم المسيح ولأجله كان كل منهما أيضا يُقاتِل ويُقَتلُ والمسيح منهما ومن حروبهما الدامية برىء كل البراءة . وهذا ما حدث أيضا للأسف الشديد فى أبرشيات أورشليم وفلسطين .

رأينا سابقاً أن الأساقفة المصريين (١٣ أسقفاً) لم يوقعوا على قرارات مجمع خلقدونية ورفضوا التعاليم الازدواجية بوجود طبيعتين فى شخص المسيح ، قبل انفضاض المجمع نفسه . وعندما رجعوا إلى مصر اندلعت الثورة حال إصدار الفرمان الإمبراطورى بتطبيق قرارات مجمع خلقدونية . وهذا ما حدث تقريبا فى فلسطين بعد مجمع خلقدونية ، ولكى نفهم ما حدث بالضبط يجب علينا أن نلقى نظرة سريعة جداً على التيارين العقائديين اللذين كانا يسيطران على المنطقة فى ذلك الوقت وما قبلها .

(١) التيار العقائدى الأول

هو التعليم بوجود طبيعة واحدة فى شخص الرب يسوع المسيح ، ولقد بدأ ينتشر ويحتل مكانة كبيرة ومرموقة فى مصر بصفة خاصة وفى بعض بلاد الشرق بصفة عامة . ومع أن هذا التعليم كان معروفاً جزئياً قبل ظهور الأسقف ابولوناريوس ، فإن هذا الأخير عمل جاهداً على نشره على نطاق أوسع فى الشرق . فإن أسقف لاودكية علّم بأن اللوغوس ، الله الكلمة نزل وحلّ فى بطن مريم العذراء بطريقة معجزية . ولكن هذا اللوغوس ، أو الله الكلمة الذى حلّ فى بطن العذراء مريم ، لم يكن إلا طبيعة واحدة يعنى طبيعة الله المتجسد . ولم يأخذ روحاً بشرياً مثل كل كائن بشرى – مكوّن من الجسد والروح البشرية ، بل إن الكلمة أو اللوغوس حل فى الإنسان يسوع المسيح بدل الروح البشرية . فبحسب المفهوم الأبولوناريوسى يكون يسوع عبارة عن الكلمة الله : اللوغوس المتجسد وجسد بشرى بدون روح بشرية لأن الكلمة : اللوغوس حلّ محل الروح البشرية فى يسوع المسيح . ولذلك فقد علّم هو وأتباعه فيما بعد بعقيدة الطبيعة الواحدة ، ولقد علّم أريوس بهذه العقيدة عينها ،

يعنى وجود طبيعة واحدة فى المسيح . وتسمى هذه العقيدة فى تاريخ العقائد بما يأتى :
اللوغوس — جسد Logos Flesh - Logos Chair - Verbe Sarx .

(٢) التيار العقائدى الثانى

أما التيار العقائدى الثانى الذى كان يسيطر على الكنائس فى ذلك الوقت وما قبله وخاصة على كنائس أنطاكية والقسطنطينية فهو التعليم بوجود طبيعتين . فقد علمت مدرسة انطاكية بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى فى شخص الرب يسوع المسيح . فعندما بدأ أريوس (وفيما بعد الأسقف ابولوناريوس) بنشر تعاليم الطبيعة الواحدة ، شعر بعض علماء العقائد فى ذلك الوقت بالخطر الداهم الذى يهدد ويهدم التعاليم بوجود طبيعتين فى المسيح . فإن الذين كانوا ينادون بوجود طبيعة واحدة فى المسيح انزلقوا فى خطر ملاشاة الناسوت من المسيح ، لأنهم علموا بأنه لا يوجد إلا الكلمة المتجسد ، جسد بدون روح بشرية فيه ، لأن الكلمة حلّ محل الروح .

ويبدو أن ظهور الأريوسية — الجماعات التى تبنت عقيدة وجود طبيعة واحدة فى شخص الرب يسوع — دفعت جماعة من علماء العقائد فى انطاكية إلى دراسة هذه التعاليم بطريقة جادة . وعلى ما يظن بأن هذه الجماعة بدأت تظهر فى حوالى ٣٦٠ وانضم إليها فيما بعد بعض القادة من اقطاب مشهورين فى الكنيسة فى ذلك الوقت : أمثال ديودوريوس الطرسوسى ، ويوحنا فم الذهب وثودوريوس الموبستى . قام هؤلاء وآخرون من المدرسة الأنطاكية وخاصة ديودوريوس وثيودوريوس بالهجوم العنيف على التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . فلقد رفضت مدرسة أنطاكية التعاليم المزجية أو الخلطية وتعاليم الطبيعة الواحدة فى المسيح بل نادت بالتعاليم الازدواجية : أى وجود طبيعتين فى المسيح يسوع . ويسمى هذا التيار العقائدى فى تاريخ الفكر المسيحى (الكرستولوجى) . بالعبارات الآتية : الكلمة — إنسان أو اللوغوس — إنسان Verbe - Homme = Word - Man - Anthropos ، فإن معلمى هذه المدرسة نادوا بأن اللوغوس كلمة الله أو ابن الله تجسّد فى الإنسان يسوع الناصرى ، فى إنسان كامل التكوين : إنسان مكوّن من روح بشرية عاقلة وجسد كامل . إذ أنهم رأوا فى غياب الروح البشرية من شخص الرب يسوع المسيح ، العقيدة التى تبنتها جماعة أبولوناريوس . وعقد مجمع أفسس الأول فى سنة ٤٣١ وحكم بحرم وخلع ونفى نسطوريوس رئيس

أساقفة القسطنطينية . لأنه أُعتبر بأنه قسم المسيح الواحد أو علّم بوجود ابنين ومسيحين ، وفى حقيقة الأمر أن نسطوريوس لم يعلم بوجود مسيحين أو ابنين بل بوجود طبيعتين .

بدأت التعاليم المزجية أو خلط الطبيعتين بطريقة لا يمكن تمييزها ، تنتشر فى الشرق وخاصة فى الأوساط الرهبانية ، ولكن معلمى أنطاكية لم يقفوا مكتوفى الأيادى ، فلقد كتب الراهب العالم الأسقف ثيودوريطس ضد هذه التعاليم سنة ٤٤٧ م كتابه الذى يدعى الشحاذ . كان هذا الكتاب موجهاً بصفة عامة إلى كل الذين يؤمنون بوجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح وبصفة خاصة إلى أوطيخا رئيس رهبان أحد أديرة القسطنطينية . على أن أوطيخا استمر فى تعاليمه مستعملاً كثيراً الجملة المشهورة التى اعتقد أنها من تعاليم القديس كيرلس ، بل هى جملة من تعاليم ابولوناريوس وهى : « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » . حاول البعض اقناع أوطيخا بخطئه العقائدى فلم يقبل ، فاجتمع مجمع فى القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ وحكم بحرم أوطيخا وتعاليمه . على أن رئيس رهبان القسطنطينية رفض هذا الحكم وكان يتمتع بعلاقاته الكثيرة وذات النفوذ فى البلاط الإمبراطورى ، فطلب عقد مجمع آخر للنظر فى قضيته ، ولذلك عقد مجمع أفسس الثانى فى سنة ٤٤٩ .

ومن الملاحظ أن الأغلبية الساحقة التى جاءت إلى هذا المجمع المسكونى « أفسس الثانى » كانت من الذين يؤيدون أوطيخا ضد تعليم الطبيعتين ، فلقد جاء عدد كبير من الرهبان المصريين . ثم عدد أكبر من سوريا وبعض البلاد الأخرى وكان على رأسهم الراهب الثائر برسوم السريانى والذى كان معروفاً بمعارضته الشديدة لتعاليم نسطوريوس الازدواجية وتعاطفه مع رئيس القسطنطينية أوطيخا . ولقد رأى فيه بعض المؤرخين شخصاً مشاغباً متغطرساً متعصبا وثائراً ضد النساطرة .[1]

رأس هذا المجمع ديوسقوروس بطريرك الإسكندرية وكان يوبيناليوس أسقف أورشليم نائب الرئيس[2] فلقد كان الذراع الأيمن للقديس كيرلس فى مجمع أفسس الأول وكان

---

(1) A Grillmier P. 528 - 532; Camelot. 105 - 106; Hefele T. 2 588 - 591; Wright, Catalogue, 1123.

(٢) د . ق . حنا جرجس الخضرى – تاريخ الفكر المسيحى – المجلد الثالث : مجمع أفسس الثانى .

نشيطاً عاملاً فى الدفاع عن الطبيعة الواحدة بجانب ديوسقوروس فى مجمع أفسس الثانى . اجتمع هذا المجمع فى سنة ٤٤٩ للنظر من جديد فى قضية أوطيخا وتعاليمه . ولقد تمسك رئيس رهبان دير القسطنطينية بفكرة أنه لا توجد إلا طبيعة واحدة ، طبيعة الكلمة المتجسد فى المسيح يسوع . على أنه قبل وجود طبيعتين فى المسيح قبل التجسد .

ولقد اعتقد كثيرون من معلمى العقائد بأن رياسة مجمع أفسس (الثانى) استخدمت القوة والعنف والارهاب حتى يقبل الجميع تعاليم أوطيخا . ولذلك فقد أطلق بابا روما على هذا المجمع « مجمع اللصوص » . ولقد حكم مجمع أفسس الثانى ببراءة أوطيخا واعادته إلى مركزه وكرامته .

أما الآباء الذين ادعوا بأنهم أُهينوا وضربوا وعوملوا معاملة سيئة فى مجمع أفسس الثانى فقد اتصلوا بروما ورفعوا الشكوى للإمبراطور . وبعد نقاش طويل ورسائل وخطابات أطول تقرر عقد المجمع المسكونى الرابع فى سنة ٤٥١ فى مدينة خلقدونية وقد أمر بعقده الإمبراطور مارسيانوس والإمبراطورة بولخاريا ، ولقد حضره حوالى ٦٣٠ أسقفاً . ولقد ناقش آباء هذا المجمع مشكلة رئيس دير القسطنطينية أوطيخا وتعاليمه الخاصة بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . فلقد اضطر آباء المجمع دراسة بعض الرسائل العقائدية مثل رسالة القديس العظيم كيرلس إلى نسطوريوس ، وكذلك الرسالة الشهيرة التى تدعى التوم Tome التى كتبها البابا ليون الكبير إلى فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية ، ولم تقرأ هذه الرسالة فى مجمع أفسس الثانى . كما أنهم درسوا بعض أقوال وكتابات الآباء الأخرى . وبعد أن قضوا اليوم كله فى البحث والتنقيب والمقارنة ، اتضح لمعظمهم هرطقة أوطيخا ، فقرر المجمع حرمه هو وتعاليمه وخلعه من منصبه ، كما أن المجمع قرر خلع ديوسقوروس أيضا رئيس أساقفة الإسكندرية . حاول البعض وخاصة الرهبان الذين كان يقودهم برسوم الاحتجاج ورفض هذه القرارات ، وخاصة التعليم بوجود طبيعتين فى المسيح ، كما أنهم طالبوا برجوع أوطيخا وديوسقوروس إلى منصبيهما فلم يفلحوا . وانفض المجمع المسكونى الرابع بعد أن نظر فى عدة قضايا أخرى .

الثورة فى فلسطين

ومع أن بعض الأساقفة المصريين (١٣ أسقفاً) فى خلقدونية لم يوقعوا على

قرارات مجمع خلقدونية الذى قبل رسالة ليون وعقيدة وجود طبيعتين فى المسيح ، فإن الثورة الشعبية التى قام بها المصريون الذين يؤمنون بوجود طبيعة واحدة لم تندلع إلا بعد أن أصدر الإمبراطور ماركيانوس فرمانيين يطالبان بتطبيق قرارات وتعاليم خلقدونية فى كل الإمبراطورية . ولقد صدر الفرمان الأول فى ٧ فبراير سنة ٤٥٢ والثانى ١٣ مارس سنة ٤٥٢[١] . أما الفلسطينيون الذين يقبلون تعليم الطبيعة الواحدة ويرفضون تعليم الطبيعتين فقد ثاروا ثورة عنيفة ودامية حال وصول الخبر إلى مسامعهم .

● ثيودوسيوس قائد الثورة فى فلسطين

ثيودوسيوس راهب فلسطينى ، اشتهر بالعنف والقسوة ، ذهب إلى الإسكندرية عام ٤٤٧ وقام بحملة تعليمية ثورية ضد الأسقف ثيودوريطس الذى هاجم أوطيخا وفى رحلته إلى مصر تطاول فى كلامه على ديسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية ، فأمر بجلده وأركبه على جمل أجرب وطاف به المدينة وقال عنه المؤرخ أفاجريوس « يبذر الراهب ثيودوسيوس الاضطراب حيثما يوجد »[٢]

ذهب ثيودوسيوس مع عدد كبير من الرهبان - الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة - لحضور مجمع خلقدونية للدفاع عن رأيه[٣] . لكن الإمبراطور مارسيانوس شدد على عدم دخول الرهبان إلى المجمع ، بل وعمل كل ما فى وسعه لإخلاء المدينة منهم حتى يتجنب ثورتهم .

ويعتقد البعض أن عدداً كبيراً من الرهبان حضروا إلى مدينة خلقدونية متخفين فى ثياب مدنية .

وقد علم ثيودوسيوس أن مجمع خلقدونية قد قبل رسالة البابا ليون التى تعلم بوجود طبيعتين متميزتين غير منفصلتين ، وأنه أصدر حكماً بعودة الراهب العالم ثيودوريطس - الذى دافع عن الطبيعتين وكتب ضد بعض بنود حرمانات القديس كيرلس لنسطوريوس ، كما عرف أن يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم قد غير موقفه

---

(1) G. Bardy. Lutte Chri - op.cit. 276.
(2) Evagrius Hist eccl., 2, 5. G. Bardy. Lutte chris. op.cit. 276.
الدكتور اسد رستم . الجزء الأول ٣٤٧ ذُكِرَ سابقاً .
(3) V.C. Samuel. The of Chalcedon.. op.cit p. 91 - 94.

من أول جلسة وانضم إلى المنادين بالطبيعتين[1] . وأن المجمع حكم بحرم أوطيخا وخلع ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية .

عندئذ ترك ثيودوسيوس مدينة خلقدونية مع الجمع الغفير من الرهبان الذين كانوا معه وقفل راجعاً إلى أورشليم فوصل إليها قبل بعض الوفود التى كانت فى المجمع .

وقد جال الراهب الثائر منادياً ضد مجمع خلقدونية وتعاليمه ، وكان يعظ فى الكنائس لإثارة الشعب . وقد وصف مجمع خلقدونية بأنه مجمع الهراطقة لأنه حكم بإرجاع وتبرئة الأسقف ثيودوريطس الذى قدم فى تقديره ليوحنا الأنطاكى (فى أزمة أفسس الأولى) تحليلاً ونقداً لحرمانات القديس كيرلس . فكيف يمكن إذن بأن الذى يحكم على بعض تعاليم القديس العظيم كيرلس بأنها ابولوناريوسية يصدر مجمع خلقدونية حكمه ببراءته وارجاعه إلى مكانته فى المجمع وفى الأبروشية أيضا ؟ ألا يعنى هذا بأن المجمع الذى برأ ثيودوريطس ودافع عن تعاليم الطبيعتين التى تمسك ونادى بها نسطوريوس ، ورفض تعاليم القديس كيرلس الخاصة بالطبيعة الواحدة قد ضل وأن جيوفنال رئيس أساقفة أورشليم ارتكب خيانة عظمى ، إذ انضم إلى جماعة الطبيعتين وغير موقفه . وخان كيرلس وتعاليمه وخان شعب أورشليم الذى يقوم برعايته عندما قبل هذه التعاليم الازدواجية . كانت عظاته نارية ثورية أثارت عواطف الناس ومشاعرهم وبث فيهم روح التعصب الحزبى والحماس لمحاربة ومقاتلة الحزب الخلقدونى . ولقد حدثت مذابح مريعة ومعارك دامية بين الرهبان والشعب الخلقدونى[2] .

- **طرد رئيس أساقفة أورشليم وتنصيب الراهب الثائر ثيود وسيوس رئيساً لأساقفة أورشليم**

سبق أن رأينا أن يوبيناليوس قد وقف مسانداً القديس كيرلس فى مجمع أفسس الأول (٤٣١) ضد نسطوريوس للوصول إلى بعض المراكز السامية . كما رأيناه أيضا يقف بجانب ديوسقوروس – خليفة كيرلس فى مجمع أفسس الثانى – وتعين نائباً

(1) The New. Monophysites. Schaff - Herzog. op.cit. p. 474.

(2) Hist. of the Christian Church AD. 1 - 600. W. Moeller op.cit p. 420 - 424; P.Schaff. Vol. 3 op. cit. p. 764 - 768; W.P. du Bose, S.T.D. op. cit. 266 - 270; Jean danielou E. Marrou op. cit. p. 398 - 400.

للرئيس وكان يدافع مع ديوسقوروس ومع أوطيخا عن عقيدة الطبيعة الواحدة . وفى مجمع خلقدونية بدأ فى بداية الجلسة الأولى من الذين يدافعون عن مجمع أفسس الثانى وعن الطبيعة الواحدة . ولكن عندما أدرك بأن الجو قد تغير وأن الأغلبية الساحقة قبلت تعاليم الطبيعتين ورسالة ليون ، انضم إلى هذا الحزب الذى اعتبرهم ثيودوسيوس هراطقة ويجب مقاومتهم بكل الوسائل .

كان الراهب الثائر ثيودوسيوس قد رجع إلى أورشليم قبل وصول يوبيناليوس رئيس الأساقفة إليها ، وقام مع بعض الرهبان بحملة ضد مجمع خلقدونية وضد رئيس أساقفة أورشليم . وبذلك استطاعوا أن يهيئوا الجو ضد المجمع وضد يوبيناليوس قبل وصوله للمدينة[1] فعندما وصل رئيس الأساقفة إلى أورشليم ، بعد عدة أسابيع من انفضاض المجمع ، جاء إليه عدد كبير جداً من الرهبان والاكليروس والعلمانيون وذكّروه بوعده قبل رحيله لحضور المجمع المسكونى الرابع ، (أى تأييد عقيدة الطبيعة الواحدة) ثم لاموه وعنفوه بشدة على خيانته لهذا الوعد . وأخيرا طلبوا منه أن يختار بين إنكار التعاليم التى اعترف بها فى مجمع خلقدونية ، أو الانسحاب من الأبرشية[2] .

رفض يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم طلب الاكليروس والرهبان والشعب وتمسك بقرارات خلقدونية ، فحاول البعض قتل الأسقف[3] فاضطر أن يهرب إلى القسطنطينية إنقاذاً لحياته[4] وهنا اندلعت ثورة ومعارك حامية ، فقد قام عدد كبير من الرهبان وبعض الشعب والأكليروس بالهجوم الوحشى الفظيع المريع ضد الذين قبلوا قرارات خلقدونية ، وكانت الصرخة العامة كما يقول فرند (Frend) هى كلمات « كيرلس » ، « واحدة هى طبيعة اللوغوس المتجسد »[5] ، ولقد جاء رهبان الأديرة المجاورة للمدينة وحاصروها كما أحرقوا بيوتاً كثيرة وقتلوا شيوخاً وشباباً وساد الذعر والخوف والاضطراب مدينة أورشليم . وارتفع الصراخ وسيطرت الفوضى لدرجة أن

---

(1) V.C. Samuel op. cit. 93 - 95.

(2) ....

G. Bardy. Lutte Christologie. op. cit. 276 - 277.

(3) G. Bardy. Lutte Christologiue op. cit 277.

(4) W. H.C. Frend. op. cit p. 260 - 264. V.C. Samuel. op. cit. 92 - 95.

الدكتور اسد رستم – مدينة الله أنطاكية الجزء الأول ص ٣٤٦ – ٣٤٨ .

(5) W. H.C. Frend. op. cit. 260 - 264.

بعض اللصوص انتهزوا هذه الفرصة فانضموا إلى جماعة الثوار[1] .

وفى أثناء هذه الثورة المريعة المخيفة ، التى سُفِكت فيها الدماء غزيرة وراح ضحيتها عدد كبير من الأرواح البشرية ، أقام جماعة الطبيعة الواحدة الراهب الثائر ثيودوسيوس رئيس أساقفة عليهم[2] ، كما قاموا بطرد كل الكهنة والأساقفة الذين وقّعوا على قرارات مجمع خلقدونية ، وعينّوا بدلاً منهم أساقفة وكهنة من الذين قبلوا التعليم بالطبيعة الواحدة فى المسيح ، أى من الحزب اللاخلقدونى الذى كان يتمسك بتعاليم ديوسقوروس[3] . وهكذا استولى هذا الراهب (ثيودوسيوس) وأتباعه على كنائس كثيرة فى أورشليم وفى كل فلسطين ، واستمر فى عمله كأسقف حوالى سنتين من ٤٥١ – ٤٥٣ ، انتشرت خلالهما الفوضى فى أسيا الصغرى بالرغم من المجهود الذى حاول بذله فى المحافظة على الوحدة[4] .

الإمبراطورة أفدوكية أو إدوسيا

كانت الإمبراطورة إدوسيا زوجة الإمبراطور ثيودسيوس الثانى من الذين اعتنقوا عقيدة الطبيعة الواحدة . وبما أن عدداً كبيراً جداً من رهبان فلسطين قبلوا هذه التعاليم ودافعوا عنها ، فإن الإمبراطورة كرست وقتها وجزءاً كبيراً من مالها لمساعدة هؤلاء الرهبان لنشر هذه التعاليم ومهاجمة القرارات الخلقدونية ، التى اعتنقها وأمر بتطبيقها الإمبراطور الجديد مارسيانوس وزوجته بلخريا . وفى حقيقة الأمر كانت العائلة الإمبراطورية منشقة ممزقة ، فقد كان الخلاف بين الإمبراطور ثيودسيوس الثانى والإمبراطورة إدوسيا شاسعاً ، لأن الإمبراطورة كانت على غير وفاق وسوء تفاهم محزن مؤلم مع أخت زوجها الأميرة بلخريا والتى ستصبح إمبراطورة شريكة مع الإمبراطور مارسيانوس بعد موت الإمبراطور ثيودسيوس الثانى .

فبسبب سوء التفاهم والخلاف المستمر بين الإمبراطورة إدوسيا والإمبراطور ثيودوسيوس من ناحية وبينها وبين اخت زوجها بلخريا ، اضطرت إدوسيا إلى ترك

(1) G. Bardy op. cit 277.
(2) ...., W.H.C. Frend op. cit. 260 - 264; V.C. Samuel. op. cit 92 - 95; L. Hefele T.3 p. 858.
(3) G. Bardy. op. cit. 277.
(4) W.H.C Frend. 260 - 265; W. Moeller op. cit p. 420 - 425.

القسطنطينية فى حوالى ٤٤٢ إلى فلسطين وأقامت فيها فساعدت[١] بمالها وتضحياتها الكثيرة العديدة الرهبان اللاخلقدونيين قبل الثورة وبعدها – ولقد أيدت الراهب ثيودوسيوس وأتباعه[٢] مع أن ليون بابا روما كتب إلى الإمبراطورة إدوسيا ملتمساً منها بأن تساعد الرهبان فى فلسطين ليس على الثورة بل على التوبة الحقيقية وانسحاق القلب[٣] وبدون شك لم تكن الإمبراطورة هى السبب الأول والأساسى فى إشعال الثورة ، لكنها عملت بمساعدتها المالية وتشجيعها لثيودوسيوس وحزبه على استمرارها وانتشارها[٤] .

عودة يوبيناليوس إلى أورشليم

لقد هرب رئيس أساقفة أورشليم يوبيناليوس إلى القسطنطينية ولابد أنه عرّف الإمبراطور مارسيانوس بالهزيمة العظمى للخلقدونيين فلم يقبل الإمبراطور هذه الهزيمة وخاصة الفوضى التى تعرضت لها البلاد . ولذلك فقد كلّف القائد دوروثيوس (Dorothée) بالقضاء على هذه الثورة وإرجاع يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم إلى كرسيه[٥] ولكن لم يكن هذا الأمر سهلاً هيناً . فلقد التحم جيش الإمبراطور مع الرهبان اللاخلقدونيين الذين امتلأوا بالحماسة والتعصب للدفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة .

كانت المعركة التى تقابل فيها الجيشان : جيش الإمبراطور وجيش الرهبان بالقرب من نابلس معركة ساخنة سقط فيها عدد كبير من الرهبان[٦] .

واستطاع الجيش الإمبراطورى الاستيلاء على مدينة أورشليم وإعادة رئيس أساقفتها إلى كرسيه[٧] . وواصل الجيش مطاردته للرهبان ورئيسهم ثيودوسيوس الذى حاول الهروب إلى مصر ، ولكن قبض عليه وأُرسِلَ إلى القسطنطينية[٨] . ويعتقد البعض بأن

---

(١) د . أسد رستم – الجزء الأول – ذُكِرَ سابقاً ص ٣٤٦ .

(2) G Bardy op. cit 276 - 279, V.C. Samuel. op. cit 92 - 95.

(3) ....

(4) W. Moeller op. cit 420 - 425; Schaff - Herzog op. cit 474.

(5) G. Bardy. op. cit. 277 - 278; W. Moeller 420 - 425.

(6) ....,

د . أسد رستم – الجزء الأول – ذُكِرَ سابقاً ص ٣٤٧ .

(7) G. Bardy. op. cit. 277 - 278.

(8) V.C. Samuel op. cit. 91 - 96.

ثيودوسيوس قاسى آلاماً كثيرة جداً أثناء سجنه فى القسطنطينية . ولقد أُطلق سراحه فى سنة ٤٥٧ ومات بعد عدة أيام بسبب العذابات التى قاساها[١] على أن البعض الآخر يعتقد بأن السلطات أرغمت ثيودوسيوس على الاقامة فى أحد الأديرة فى القسطنطينية حيث مات فيها ونُقلت رفاته إلى جزيرة قبرص[٢] .

بعد هذه المعركة قام البلاط الإمبراطورى بعمل اتصالات مكثفة لارجاع السلام لهذه المنطقة . فلقد كتب كل من الإمبراطور مارسيانوس والإمبراطورة بلخريا وكذلك البابا ليون إلى الكنائس فى الشرق ، وخاصة إلى مكاريوس ورهبان سيناء . كما أُرسلت عدة رسائل إلى رهبان فلسطين ، ولقد شرح الإمبراطور فى رسائله موقفه من الأوطيخية والابولوناريوسية . وأن مجمع خلقدونية لم يعلم قط بوجود ابنين أو اقنومين فى المسيح ، وأنه يقبل قرارات وتعاليم مجمع نيقية الذى قبله اللاخلقدونيون[٣] .

أما يوبيناليوس ، فقد حاول هو أيضا من جانبه بذل مجهود خاص وإزالة سوء التفاهم بين الحزبين لكنه للأسف الشديد كان مكروها بين أغلبية الرهبان والشعب ، ومع ذلك فقد بدأ فى أخذ المبادرة للاتصال بجماعة الرهبان والشعب غير الخلقدونى فقد عقد مجمعاً ومقابلات عديدة وشرح أثناءها التعاليم والقرارات التى تبناها مجمع خلقدونية مبيناً بأن هذه التعاليم والقرارات تتفق تماماً مع قرارات مجمع نيقية . فلا داعى إذن لرفض المجمع الخلقدونى والقيام بالثورة وسفك الدماء . بالرغم من هذا المجهود فقد رفض للأسف الشديد كل من رهبان فلسطين ورهبان الصحراء الشركة مع يوبيناليوس[٤] .

ظلت الإمبراطورة الأرملة ادوسيا فى فلسطين تعمل بنشاط على إثارة الثورة بطرق كثيرة[٥] ولكنها لم تفلح وبفضل المجهود الضخم الذى قام به الإمبراطور مارسيانوس والإمبراطورة بلخريا وكذلك البابا ليون بدأ كابوس الحرب بين الحزبين يبتعد قليلاً قليلاً[٦] .

---

(1) Schaff - Herzog. op. cit. 474; V.C, Samuel op. cit. 91 - 96.

(2) Zacharie, Hist. Eccl. 3. 9;

د . أسد رستم – الجزء الأول – ذُكِرَ سابقاً ص ٣٤٨ .

(3) V.C. Samuel. op. cit. 93 - 100; Mansi 7. Col. 505 - 513, G. Bardy. op. cit. 277 - 278;

(4) V. C. Samuel . op. cit. p. 93 - 100.

(5) G. Bardy op. cit. 278. Mansi. T. 7, col 483 - 484.

(6) ....;

٣ - الثورة فى أنطاكية وفى القسطنطينية ضد مجمع خلقدونية

كانت انطاكية والقسطنطينية مركزين هامين لنشر التعاليم الازدواجية ، ففى انطاكية بدأت حركة المقاومة للتعاليم الأبولوناريوسية والأريوسية التى نادت بوجود طبيعة واحدة فى المسيح ، أو خلطهما واختفاء الناسوت فى طبيعة الكلمة المتجسد . فلقد اشتهرت مدرسة انطاكية منذ بدايتها[١] فى تاريخ العقائد الكرستولوجية بأنها نبّرت بشدة على وجود طبيعتين متميزتين اللاهوت والناسوت بدون انفصال فى شخص المسيح يسوع . وبالرغم من ذلك فقد تكوّنت بعض الجماعات التى رفضت قرارات مجمع خلقدونية وتعاليمه فى بعض المدن الانطاكية وحتى فى القسطنطينية نفسها . وهى معاقل الخلقدونية[٢] . وقد أدى ذلك إلى بعض الاحتكاكات العنيفة ، مما أدى إلى الصراعات فى الشعب عامة وبين الأساقفة ورؤساء الأساقفة فى كنائس الشرق . ويعتقد العالم (شاف) بأن حزب المونوفيزية كان حزب انقسام وحرب وقتل وسفك دماء .[٣] .

● بطـرس القصـار أو الدبـاغ

إن الذى ساعد على انتشار العقائد المونوفيزية فى وادى الفرات هو راهب من القسطنطينية[٤] يدعى بطرس القصار أو الدباغ (Le Foulon أو CoR.roxeur.) ، فاليونانيون يسمونه غنانيوس .

واللاتينيون يدعونه فُلُو لأنه كان يمارس مهنة الدباغة وهو راهب[٥] ، كان بطرس ينتمى إلى جماعة الرهبان التى تدعى « الرهبان الذين لا ينامون » The Sleepless Monks وعلى ما يبدو كان مشاغباً ليس على وفاق مع اخوة الدير[٦] .

(1) G. Bardy. op. cit. p. 286 - 289.
(2) T.R. Gray. op. cit. p. 22 - 27.
(3) p. Schaff - Vol. 3. 762 - 769.
(4) S.G,. Green op. cit. p. 300 - 304 Schaff - Herzog op. cit. p. 474 - 477; Hefele vol. 3. op. cit. p. 858 - 860.
(٥) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة .. لورنس . ذُكِرَ سابقاً ص ٢٢٠ .
(6) W.H.C Frend op. cit. 164 - 170; G. Bardy. op. cit. 287.

جاء بطرس الدباغ إلى انطاكية مع زينون قائد الجيش[1] وقام بحركة نشاط واسعة ومكثفة لنشر التعاليم المونوفيزية ليس فقط بين الذين قبلوا هذه التعاليم ، بل بين الخلقدونيين أنفسهم[2] فالتف حوله جماعة من الأبولوناريوسيين والمونوفيزيين الذين اتفقت أراؤهم مع تعاليمه[3] ولقد أثار متاعب كثيرة ومشاكل عديدة لمرتيريوس أسقف انطاكية (٤٥٨ - ٤٧١) الذى اضطر أن يترك المدينة بسبب بطرس القصار الذى صار أسقفاً . ولقد عمل جاهداً على تقوية جماعة المونوفيزيين وتمييزهم عن الخلقدونيين فحاول إدخال بعض العبارات الجديدة فى خدمة العبادة . فهو الذى أضاف إلى التقديسات الثلاثة الكلمات التى تقول قدوس الله قدوس القوى قدوس الذى لا يموت ، قوله « الذى صُلِبَ عنا ... »[4] .

كان بطرس كما سبق القول مشاغباً ، ومتحمساً ومتعصباً لنشر التعاليم المونوفيزية ، ولذلك فقد طُرِدَ من كرسى انطاكية مرات عديدة[5] على أنه استقر فيها نهائياً بأمر الملك زينون سنة ٤٨٢[6] . إن جملة « الذى صُلب عنا أو من أجلنا التى أضافها الأسقف بطرس الدباغ ، يعتبرها المونوفيزيون والابولوناريسيون ارثوذكسية ، أما الخلقدونيون فيرون فيها نوعاً من الهرطقة المزجية الخلطية الابولوناريوسية . لأن الخلقدونيون يعتقدون بأن الذى تألم وصلب ومات من أجلنا ليس الله الآب ، بل الإنسان يسوع المسيح ، الناسوت الذى اتحد باللاهوت : لأن الله لا يموت وليس للموت سلطان عليه .

ونحن نعتقد بأن هذه الجملة يمكن أن تكون جملة أرثوذكسية صحيحة من الناحية

---

(١) د . اسد رستم الجزء الأول ذُكِرَ سابقاً ص ٣٤٩ ، Hefelé op. cit. 3. 859

(2) W.P. Du Bose. S.T.D op. cit 25 - 29.

(3) Ibid 859.

الكسندروس : ذُكِرَ سابقاً ٢٦٧ - ٢٧٠ .

(4) Hefele op. cit. 858; W.P. Du Bose S.T.D op. cit 25 - 28; Schaff - Herzog. op. cit. 474 - 476; W. Moeller. op. cit 421 - 426; Green. 298 - 303; W.HC Frend. 165 - 170.

تاريخ الكنيسة المسيحية ... لورنس ، ذُكِرَ ص ٢١٩ - ٢٢١ ، الكسندروس ذُكِرَ سابقاً ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .

(5) G. Bardy. op. cit. 286 - 288; T.R. Gray. 22 - 25.

(٦) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة ... ذُكِرَ سابقاً ص ٢٢٠ .

العقائدية إذا طبقناها على شخص المسيح يسوع الذى ولد من العذراء مريم وتألم وصُلب ومات من أجلنا . ولكن يمكن أيضا أن يشتم منها رائحة الهرطقة المزجية إذا طبقناها على الله الآب ، كما لو كان الله القوى هو الذى مات . بدون شك أن الله الكلمة : اللوغوس كان متجسداً ومتحداً باتحاد قوى عميق مع الناسوت : الإنسان يسوع المسيح ، ويمكن أن نقول أيضا بأن الله الكلمة الذى لا يعرف الألام ، وليس للموت سلطان عليه ، تألم فى جسده المتجسد المتحد به اتحاداً قوياً .

الفصل الثالث

انتشار تعاليم الطبيعة الواحدة

كانت التعاليم الخاصة بطبيعة واحدة فى شخص المسيح يسوع موجودة ومعروفة قبل مجمع خلقدونية وقبل مجمع أفسس (٤٣١ ، ٤٤٩) ، وقبل الراهب أوطيخا أيضا . كما أن التعاليم الخاصة بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى ، اللاهوت والناسوت كانت موجودة أيضا ، ولقد تكونت أحزاب وجماعات فى الشرق وفى الغرب وعقدت بعض المجامع المحلية والمسكونية لمناقشة هذه التعاليم . فلقد قبل البعض التعاليم المونوفيزية : تعاليم الطبيعة الواحدة ، مثل مدرسة الإسكندرية . ورفض البعض الآخر المونوفيزية مثل مدرسة انطاكية التى علّمت بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى فى المسيح يسوع . وكان الصراع بين هاتين المدرستين : انطاكية والإسكندرية وبين الأحزاب المتعارضة فيما بعد صراعاً عنيفاً بالكتابة والوعظ وبطرق أخرى أيضا . على أن هذا الصراع الكرستولوجى (الخاص بشخص المسيح) لم يصل إلى أشده إلا بعد مجمع خلقدونية .

لقد رأينا سابقا كيف أن الكنيسة المسيحية ، جسد المسيح الواحد ، انقسمت بعد مجمع خلقدونية إلى حزبين **أولاً** حزب جماعة الخلقدونيين الذين قبلوا رسالة القديس ليون إلى فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية ، والتى شرح فيها بعض العقائد الكرستولوجية ، وخاصة التجسد ، ووجود طبيعتين متميزتين : اللاهوت والناسوت فى المسيح ، **ثانياً** حزب المونوفيزيين : أى الذين رفضوا وجود طبيعتين متميزتين فى المسيح ، كما رفضوا رسالة ليون ومجمع خلقدونية وقراراته وقانون الإيمان الذى صاغه . ولقد رأينا أيضا بأن كل حزب من هذين الحزبين ادّعى أنه يملك الحق العقائدى الكرستولوجى وينادى به ، وأن الحزب الآخر فى ضلال وهرطقة ، ويجب القضاء عليه . ولأجل هذا السبب وبروح تعصب حزبى ممقوت خاض هذان الحزبان معارك عنيفة ومجازر دامية وحشية : خلقدونيون ضد مونوفيزيين : أى مسيحيون ضد مسيحيين !!! وحاول كل حزب الانتصار على الحزب الآخر وملاشاته من الوجود أو على الأقل ضمه إليه ليقبل أفكاره وتعاليمه ....

تطورات وتغيرات سياسية فى صالح المونوفيزية

كانت الإمبراطورة بلخريا الشريكة فى الحكم من أتباع ومؤيدى قرارات وتعاليم خلقدونية . وكان زوجها الإمبراطور مركيانوس (أو مارسيانوس) من الذين دافعوا عن التعاليم الخلقدونية أيضا . فهو الذى أصدر فرمانين بعد مجمع خلقدونية الأول بتاريخ ٧ فبراير سنة ٤٥٢ والثانى يوم ٢٨ يوليو ٤٥٢ يأمر فيهما كل رؤساء الأساقفة والأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين بقبول تعاليم مجمع خلقدونية وتطبيقها ، ثم ماتت الإمبراطورة بلخريا ، المتحمسة لنشر التعاليم والقوانين الخلقدونية فى سنة ٤٥٣ كما مات زوجها الإمبراطور مارسيانوس فى ٢٦ يناير سنة ٤٥٧ وبموتهما فقدت الخلقدونية مؤيدين عظيمين .

وبعد موت مارسيانوس تولى زمام الحكم فى الإمبراطورية الإمبراطور ليون الأول (من سنة ٤٥٧ – ٤٧٤) وكان خلقدونياً ، على أنه كان يحتاج فترة تمرين واختبار عملية ونظرية فيما يخص الأمور الكنسية والعقائدية التى كان يجهل الكثير منها .

ثم مات الإمبراطور ليون الأول فى يناير سنة ٤٧٤ وجلس على عرش الإمبراطورية الشرقية حفيده ليون الثانى (ابن ابنته أرديانة) ، وكان لم يبلغ السادسة من عمره ، ولأجل هذا السبب فقد أشرك ليون الثانى أباه زينون فى الحكم . على أن الإمبراطور الطفل مات فى نوفمبر سنة ٤٧٤ . وعندئذ صار زينون الإمبراطور الحاكم الحقيقى . ولكن فى يناير سنة ٤٧٥ قام البلاط الملكى بثورة ضد زينون وانتهت بطرده إلى بلاده وجلس مكانه على العرش باسيليكوس الذى اغتصب لنفسه هذا الامتياز[١] .

نهضة الحركة المونوفيزية – الإمبراطور بسيليكوس

تولى باسيليكوس الحكم فى الإمبراطورية بعد ثورة يناير ٤٧٥ .[٢] ولقد سبق أن

---

(1) W.H.C Frend. The Rise of monophysite op. cit 167 - 173; V.C. Samuel 101 - 110; The Encyćlopedia of Religion Mircea Eliade op. cit p. 66 - 78; W. Moeller. op. cit. 422 - 430; الكسندروس : ذُكِرَ سابقاً ص ٢٦٨ – ٢٧١ ؛ انطونيوس الدويرى ص ١٠ – ١٢ ، د . أسد رستم ٣٤٥ – ٣٤٧ .

A. Vasiliev, Histoire de l'empire byzantin,t, 1, p 133 - 140; G. Bardy. op. cit 284 - 291.

(2) W.H.C Frend. op. cit. p. 167 - 173; p. Schaff - V. 3. 765 - 770.

رأيتا بأن الأباطرة السابقين له ، أمثال مارسيانوس وبلخريا وكذلك ليون الأول أيدوا ودافعوا عن مجمع خلقدونية وعملوا على نشر تعاليمه وقراراته . أما الإمبراطور باسيليكوس فكان مونوفيزيا (لاخلقدونيا) ولذلك فقد عمل جاهداً حال وصوله إلى الحكم فى الفترة القصيرة التى حكم خلالها[1] (٤٧٥ – ٤٧٦ م) وهى حوالى عشرين شهراً فقط[2] على نشر التعاليم الوحدوية : (أى وجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح يسوع) . ولأجل هذا السبب فقد أمر برجوع الأساقفة المونوفيزيين الذين طردهم الإمبراطور ليون الأول الخلقدونى من كراسيهم . كما دعا من المنفى بعض الأساقفة الذين اشتهروا فى الماضى بتعصبهم الحزبى وتمسكهم الشديد بالمونوفيزية ورفضهم لتعاليم مجمع خلقدونية أمثال تيموثاوس القط[3] رئيس أساقفة الإسكندرية الذى نُفى فى سنة ٤٦٠ ، وكذلك الواعظ المتعصب الثائر بطرس الدباغ[4] رئيس أساقفة انطاكية.

فعندما عُلِمَ فى الإسكندرية بأن باسيليكوس استلم زمام الحكم ، وصل وفد من الرهبان يلتمس من الإمبراطور الجديد المونوفيزتى إطلاق سراح رئيس أساقفة الإسكندرية ايلور أو تيموثاوس القط . ولقد استقبل الإمبراطور هذا الوفد التابع لحزب الطبيعة الواحدة استقبالاً حسناً جداً فى القسطنطينية[5] . وعلى ما يبدو أن تيموثاوس (ايلور) رئيس أساقفة الإسكندرية قد عرج وهو فى طريق العودة إلى وطنه ، على القسطنطينية[6] واستقبله كل من الإمبراطور والإمبراطورة استقبالاً لائقاً برئيس أساقفة ونزل ضيفاً عليهما . يعتقد بعض المؤرخين بأن تيموثاوس ايلور انتهز هذه الفرصة فدفع الإمبراطور ، أو على الأقل ساعده على تأليف ونشر الإعلان المشهور ضد جماعة الخلقدونيين[7] .

ولم يكتف تيموثاوس ايلور بهذا النجاح ، فبعد أن ترك العاصمة الشرقية وقبل أن يصل إلى الإسكندرية مال إلى مدينة أفسس وعَقَدَ فيها مجمعاً وقام برياسته ونوقشت فيه بعض الأمور الإدارية والكنسية والعقائدية[8] .

---

(1) G. Bardy. op. cit. 284 - 285.
(2) P. Hughes op. cit. p. 4 - 15.
(3) W.H.C. Frend op. cit 168 - 170;
(4) Ibide. Frend 170; Hefelé tome 2. op. cit. p. 860 - 865.
(5) Gray op. cit. 24 - 26; Zacharie 5, 1, pp. 102 - 108;
(6) G. Bardy. op. cit. 283 - 290;
(7) T.R. Gray. op. cit pp. 23 - 25; V.C Samuel. op. cit. 102 - 110; G. Bardy op. cit 284 - 288.
(8) G. Bardy. op. cit. 286.

عندما وصل تيموثاوس اللور (القط) إلى الإسكندرية مساءً ، قام الملاحون بعمل دعاية كبيرة لاستقباله ، فأشعلت المصابيح وخرج عدد كبير جداً من المدينة لاستقبال رئيس أساقفتهم بعد أن قضى فى النفى أكثر من خمس عشرة سنة (من سنة ٤٦٠ – ٤٧٥) ، وكان الشعب يصرخ أمامه قائلاً مبارك الآتى باسم الرب . ولقد حمل معه (على ما يعتقد بعض المؤرخين) عظام رئيس الأساقفة السابق (ديوسقوروس)[١] . عندما طرد الإمبراطور ليون الأول تيموثاوس القط إلى المنفى فى سنة ٤٦٠ . وعندما عاد تيموثاوس ترك سالوفاكيول (ذو العمامة البيضاء) منصبه كرئيس أساقفة وانزوى فى ديره حتى لا يثير صراعاً جديداً أو معارك حزبية مذهبية بين جماعة الخلقدونيين واللاخلقدونيين[٢] .

ولقد رجع من المنفى أيضا بطرس الدباغ (أو القصار) رئيس أساقفة أنطاكية المتحمس المتعصب الذى نفى من كرسيه عدة مرات . وكذلك كل من انستاسيوس وبولس الأفسسى[٣] .

● منشور باسيليكوس ضد مجمع خلقدونية

اغتصب باسيليكوس السلطان الإمبراطورى كما قلنا فى يناير سنة ٤٧٥ م ، وفى ٩ أبريل من نفس السنة أصدر قراراً إمبراطورياً فى غاية الأهمية . فإنه لم يكتف بارجاع الأساقفة المونوفيزيين وطرد بعض الأساقفة الخلقدونيين[٤] بل قام بتأليف رسالة عقائدية يشرح فيها الإيمان الصحيح[٥] .

يبدأ الإمبراطور فى هذا الإقرار بدعوة الشعوب إلى الوحدة فى المسيح . ثم يتكلم عن مجمع نيقية ومجمعى أفسس (٤٣١ ، ٤٤٩م) . ويقول إن قرارات مجمع نيقية

---

(1) G. Bardy. op. cit. pp. 286 - 289;
T.R. Gray. op. cit. 23 - 26; V.C. Samuel. op. cit. 100 - 110;
د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٤٩ .

(2) G. Bardy. op. cit. p. 286.

(3) L. Hefelé 2. p. 858 - 865; V.C. Samuel op. cit. 103 - 110;
د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٤٩ ، تاريخ الكنيسة المسيحية : الكسدروس ٢٦٨ – ٢٧٠ .

(٤) تاريخ الكنيسة المسيحية : الكسندروس ٢٦٨ – ٢٧٠ .

(5) A. History of the twenty gest councils. p. Hughes. p. 74 - 80.

٣٢٥ م قرارات ملهمة صدّق عليها أيضا مجمع القسطنطينية ٣٨١ م . كما قبل الإمبراطور قانونية مجمعى أفسس ٤٣١ ، ٤٤٩ م[١] . لكنه حكم على مجمع خلقدونية وقراراته وتعاليمه واعتبر أنه قد أدخل بعض الأمور التى لا يقبلها الإيمان . وبناء على ذلك رفضه ورفض رسالة (Tome) البابا ليون وحرمها فى كل مكان ، كما أنه حرم أيضا فى هذه الرسالة كل من لا يعترف بأن ابن الله الوحيد ، صار إنساناً وأخذ طبيعة بشرية ، فهو ابن الله الكلمة مولود بالروح القدس من ناحية اللاهوت ، كما أنه أخذ طبيعة بشرية حقيقية من مريم العذراء أمه دائمة البتولية . كما رفض الإمبراطور باسيليكوس فى هذه الرسالة الإمبراطورية ، تعاليم نسطوريوس الذى يؤمن بالطبيعتين ، كما رفض أيضا تعاليم أوطيخا التى تنادى بخلط أو دمج الطبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد . حاول باسيليكوس تأسيس تعاليم رسالته هذه على تعاليم القديس كيرلس وديوسقوريوس . ولذلك فقد وجد نجاحاً عظيماً جداً وتأييداً كبيراً من جانب المونوفيزيين التى اتسع انتشارها فى بلاد الشرق . لأن اسم كيرلس كان ومازال دليلاً على ارثوذكسية التعاليم* .

لقد أرسل باسيليكوس هذه الرسالة إلى كل مدن الإمبراطورية وطالب جميع الأساقفة بالتوقيع عليها** وأن الذى يرفض هذه الرسالة العقائدية يعرض نفسه للنفى ومصادرة أمواله . وهذا يعنى بأن الأساقفة الذين يجب أن يوقعوا على هذا المنشور يعلنون حرمهم لمجمع وتعاليم خلقدونية وقبول عقيدة الطبيعة الواحدة فى شخص المسيح يسوع . ولقد وقع على هذا المنشور أكثر من ٥٠٠ اسقفاً[٢] وطبعاً كان أول الذين وقعوا على هذا

---

(1) T.R. Gray. op. cit. 23 - 28.

* إن الذى سجل لنا نص الرسالة الإمبراطورية كاملاً هو المؤرخ : افاجريوس Evagrius Hist. eccl., 3, 4. على من يريد دراسة محتويات هذه الرسالة والدوافع التى دفعت الإمبراطور إلى كتاباتها ونتائجها الرجاء الرجوع إلى المراجع الآتية :

V.C Samuel. op. cit 100 - 112;
W.H.C. Frend. op. cit. 168 - 180; G Bardy. op. cit 284 - 290; Evagrius. Hist. eccl., 3, 4; T.R. Gray. op. cit. 21 - 30; L. Helelé, 2 p. 860 - 875;
Murphy op. cit. p. 43 - 50; W. Moeller op. cit. p. 400 - 410; P. Schaff. Vol., 3 p. 760 - 780; W.P. de bose S.T.D. Vol. 3. p. 270 - 280; p. Hughes op. cit. p . 75 - 85;
الكنسدروس ٢٦٨ - ٢٧٠ ؛ د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٤٩ .

** انظر المراجع المذكور أعلاه .

(٢) د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٤٩ ، W.H.C. Frend. 270 - 276

المنشور كل من تيموثاوس ايلور (القط) رئيس أساقفة الإسكندرية وكذلك أيضا بطرس فلور (أو بطرس الدباغ) رئيس أساقفة انطاكية ، وهو معروف بتعصبه ، وكذلك كل من رئيس أساقفة أورشليم ، أناستاسيوس وبولس الأفسسى .[١] وتبعه كل أساقفة الشرق تقريباً فى التوقيع على هذا الإقرار وقبوله إلا أكاكيوس (Acacius) رئيس أساقفة القسطنطينية[٢] الذى لم يكتف فقط بالامتناع عن التوقيع الذى اعتبره خرقاً لتعاليم وقرارات مجمع خلقدونية ، بل إنه كتب حالاً إلى فيليكس الثالث بابا روما[٣] فى خريف سنة ٤٧٥ م طالباً مساعدته ووقف التيار المونوفيزتى القوى الذى يعمل على نشره الملك وأساقفة الشرق ، ويعرفنا العالم ج . باردى G. Bardy بأن أكاكيوس كان الوحيد تقريباً الذى تمسك برسالة ليون (Tome) العقائدية وبقرارات مجمع خلقدونية ورفض المنشور الإمبراطورى الذى يأمر الأساقفة بالتوقيع عليه . ولقد وقع عليه (كما يعتقد باردى) حوالى ٧٠٠ أسقفاً من الشرق . وقد طالب أكاكيوس شعبه بالتمسك بالخلقدونية ورفض رسالة باسيليكوس مستخدماً كل الوسائل للدفاع عن مجمع خلقدونية[٤] .

وفى يناير سنة ٤٧٦ رد البابا فيليكس (فيلبس) الثالث على خطاب أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية ومدحه على إيمانه وعلى جهاده وثباته فى التعليم الصحيح والتمسك برسالة القديس ليون ، ثم كتب للملك طالباً منه الرجوع إلى الإيمان الصحيح وخلع تيموثاوس القط[٥] .

ومما لاشك فيه أن المونوفيزيين كانوا من البداية جماعة نشيطة متحمسة لنشر تعاليمهم . ولكن الذى زاد حماسهم وعددهم وانتشارهم هو اتفاق السلطات الحاكمة معهم فى بعض الأحيان أو مساندتهم وتأييدهم تأييداً كاملاً فى أحيان أخرى ، كما هو الحال أثناء حكم الإمبراطور باسيليكوس فى خلال العشرين شهراً التى حكم فيها من سنة ٤٧٥ – ٤٧٦ . وانتشرت المونوفيزية فى كل الشرق بطريقة سريعة ونشيطة . فلقد كانت كل من الإسكندرية وانطاكية وأورشليم تنشر الآراء اللاخلقدونية[٦] . كما أن المونوفيزية

---

(1) V.C. Samuel op. cit. p. 100 - 107;

(2) G. Bardy. op. cit. p. 285 - 287 الكسندروس ص ٢٦٨ – ٢٧٠ .

(3) W.H.C. Frend. op. cit. p. 165 - 170.

(4) G. Bardy. op. cit. p. 286 - 290; Michel The syrian, chron., 9.5; Evagrius H.E. 3.5.

(5) W.H.C. Frend. op. cit. p. 170 - 176.

(6) W.H.C. Frend. op. cit. 168 - 178.

تسربت حتى إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الشرقية ، والتى كانت تعتبر نفسها حصن الخلقدونية . ولأجل ذلك حدثت بعض الاضطرابات والانزعاجات . وهنا أدرك باسيليكوس (الذى كان مهدداً فى حكمه) عدة أمور :

لقد فهم أنه من المستحيل السيطرة على الموقف ومواصلة حكمه وسلطاته كإمبراطور بدون مساعدة القسطنطينية . وهو يرى بأن أكاكيوس رئيس أساقفتها شنَّ عليه حرباً شعواء لأنه كان خلقدونياً . كما أنه أدرك أيضاً بأنه من الصعب حكم الإمبراطورية الشرقية دون مساعدة روما[1] ونحن نعلم بأن روما والقسطنطينية متمسكتان بقرارات خلقدونية وتعاليم رسالة ليون العقائدية التى يقدم فيها عقيدته عن وجود طبيعتين فى المسيح . وهى التى رفضها فى رسالته المشهورة . فأمام هذه الصعوبات العقائدية والسياسية قام الإمبراطور بكتابة رسالة إمبراطورية ثانية يلغى فيها القرارات التى أمر بتطبيقها فى الرسالة الأولى المؤرخة بتاريخ ٩ أبريل ٤٧٥ م . وأمر فى الرسالة الثانية بقبول تعاليم مجمع خلقدونية[2] .

كان باسيليكوس يعتقد بأنه يستطيع أن يجنب الإمبراطورية الاضطرابات والبلبلة العقائدية والسياسية التى سببتها رسالته الأولى ، فكتب الرسالة الثانية يلغى بها* قرارته الأولى ولكن للأسف الشديد كان الزمام قد أفلت من يده . فإن اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية ساعد الإمبراطور زينون على الاستيلاء على المدينة فى سنة ٤٧٦ م . وأبعد باسيليكوس إلى المنفى مع عائلته حيث مات جوعاً هناك[3] . دخل الإمبراطور زينون العاصمة فى أغسطس سنة ٤٧٦ وفى يوم ١٧ ديسمبر من نفس السنة أصدر منشوراً يلغى فيه كل الأعمال والقوانين والقرارات التى سنها المغتصب باسيليكوس[4] .

---

(1) T.R. Gray. op. cit. p. 23 - 30;

(2) 26;

V.C. Samuel. op. cit. p. 100 - 110 الكسندروس ٢٦٨ – ٢٧٠

Evagrius Hist. eccl. 3. 7.

(3) G. Bardy. op. cit. p. 287 - 289;

* إن المؤرخ افاجريوس (Evagrius) سجل لنا نص الرسالة الثانية للإمبراطور باسيليكوس التى يلغى بها الأولى ، انظر Evagrius Hist. Eccl. 3.7.

(4) W.H.C. Frend op. cit. 170 - 180; Hefele. 2. 858 - 863.

الفصل الرابع

الإمبراطور زينون
وموقفه من عقيدة الطبيعة الواحدة والطبيعتين

استولى الإمبراطور زينون على القسطنطينية بمساعدة الخلقدونيين وخاصة أكاكيوس Acace رئيس أساقفتها فى أغسطس ٤٧٦ ، وفى ١٧ ديسمبر من نفس السنة أصدر الإمبراطور الجديد منشوراً يلغى به كل القرارات والقوانين التى سنها وفرضها الملك باسيليكوس الذى كان يعمل لنشر عقيدة الطبيعة الواحدة . ولذلك فإن الإمبراطور الجديد أمر بطرد الأساقفة اللاخلقدونيين من كراسيهم ، وأمر باقامة أساقفة آخرين من الخلقدونيين فى مكانهم . فلقد أمر بخلع كل من بطرس الدباغ وبولس الأفسسى ، وحكم على تيموثاوس القط بالنفى . ولكن نظراً لحالته الصحية وشيخوخته فقد تُرِكَ فى الإسكندرية إلى أن مات فى ٣١ يوليو ٤٧٧[١] . وفى الوقت الذى تُوفى فيه تيموثاوس القط تواجد ثيودور (Théodore) أسقف مونوفيزتى ، فقام حالاً بوضع اليد على بطرس مونج (Pierre Monge) على أن بطرس مونج اختفى حالاً بعد سيامته لكى يتجنب المتاعب والاضطرابات . ولذلك فقد رجع مكرماً إلى كرسى مرقس الأسقف المعتدل المحبوب تيموثاوس سالافاكيلا وظل أسقفاً للإسكندرية إلى أن مات سنة ٤٨٢[٢] .

كان الجو السياسى الدينى قبل وبعد هذه التغيرات وتغييرات أخرى كثيرة مضطربا اضطراباً عنيفاً .. ولقد خرج بعض الرهبان فى مظاهرات احتجاج[٣] ، كان البعض ينادى بالحكم على مجمع خلقدونية وتعاليمه أو البعض الآخر ينادى بالتمسك بقرارات خلقدونية . كان ثيودوتيوس Theodotiuis أسقف هيبو Joppe كان يطالب بالحكم على قرارات مجمع خلقدونية وأيده فى هذه المعارضة ٣٠٠٠٠ ثلاثون ألف راهباً فى مصر[٤] .

---

(1) Evagrius. Hist Eccle., 3, 11; G. Bardy op. cit. p. 289.
(2) Evagriuis. Hist. Eccl., 3, 11;
V.C. Samuel op. cit. 105 - 120.
(3) W.H.C. Frend op. cit. p. 175 - 180.
(4) W.H.C. Frend. op. cit. 175 - 179.

كان الشعب المسيحى والإمبراطورية منقسمين ممزقين ، كل حزب من الحزبين الخلقدونى واللاخلقدونى يريد نشر تعاليمه والانتصار على الحزب الآخر . فماذا يعمل الإمبراطور أمام هذه الاضطرابات والمظاهرات التى تهز أركان الإمبراطورية وتهدد سلامتها ؟ ..

رسالة زينون للاتحاد (مرسوم هينوتيكون)

يعتقد كثير من المؤرخين وعلماء العقائد أن الإمبراطور ناقش مشكلة الانقسام وتمزيق الكنيسة والدولة مع بعض الأساقفة . وبصفة خاصة مع أكاكيوس رئيس أساقفة العاصمة (القسطنطينية) ولقد حاول أكاكيوس أن يقنع الإمبراطور بأن حزب اللاخلقدونيين لا يرفض تعاليم خلقدونية بل هو ضد المجمع نفسه والذين اجتمعوا فيه[1] وبناء على ذلك فقد نصح رئيس أساقفة القسطنطينية ، الامبراطور زينون بكتابة رسالة معتدلة ، متجنباً بعض النقاط والعقائد الحساسة التى تثير الخلافات والانقسام . وقام فعلاً الإمبراطور بتأليف رسالته الشهيرة المعروفة فى التاريخ باسم **رسالة الاتحاد** ، وفى يوليو سنة ٤٨٢ أرسل هذه الرسالة إلى كل الأساقفة بصفة عامة وإلى كنائس مصر ، الإسكندرية وليبيا بصفة خاصة[٢] .

كان الهدف الأساسى من هذه الرسالة الإمبراطورية التى أرسلت إلى كل الكنائس هو توحيد الإمبراطورية وكنائسها التى كانت مهددة فى سلامها ووحدتها[٣] ولقد قاسى قادة الكنائس والشعب من الفوضى والانقسام والصراع الحزبى ، فكتب بعضهم للإمبراطور يلتمس منه أن يعمل على إرجاع السلام وتوطيده فى هذه الكنائس المنقسمة

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، للعلامة يوحنا لورنس ... ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(2) Mircea Eliade. op. cit. Vol. 10 p. 66 - 70;
W.H.C. Frend. op. cit. p. 260 - 265; J. Tixeront 3. Vol. p. 105 - 110.

* على الذين يريدون التوسع فى دراسة موضوع رسالة الاتحاد ، الرجاء الرجوع إلى المراجع الآتية والمراجع الكثيرة الأخرى المذكورة فيها :

W.H.C. Frend; Mircea Eliade; W. Moeller; Schaff. 3. Vol; p. du Bose.. Vol; L. Hefelé 2.; Murphy Samuel. G. Green; T.R. Gray; J. Tixeront. 3.V.; P.H. Hughes; Jean Danielou; G. Bardy; V.C. Samuel.
تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة . للعلامة لورنس فان موسهيم ، تاريخ الكنيسة المسيحية ، الكسندروس ؛ د . أسد رستم كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى . الجزء الثالث .

(3) Murphy. op. cit. 43 - 49; W.H.C. Frend op. cit. p. 173 - 178.

الممزقة . وهذا واضح من مقدمة الرسالة الإمبراطورية التى نحن بصددها والتى أرسلها إلى كل الكنائس : رؤساء أساقفة ، أساقفة كهنة ، رهبان ، وعلمانيون ، حيث يقول ما ملخصه : بأنه استلم عدة طلبات من بعض الأساقفة الكرام يطلبون منه التفضيل بعمل اللازم لإرجاع السلام والوحدة إلى الكنيسة التى تعيش فى الفوضى والانحطاط الروحى . فلقد أهمل الكثيرون العماد والاشتراك[1] . كان الغرض الأول والأساسى الذى من أجله كتبت هذه الرسالة ، هو إرجاع الوحدة والسلام إلى الكنيسة وإلى الإمبراطورية . ولتحقيق هذا الغرض فقد طالب الإمبراطور كل رؤساء الأساتذة وأساقفتهم التوقيع على رسالة الاتحاد . ما هى محتويات هذه الرسالة ؟ .

إن هذه الرسالة الإمبراطورية العقائدية تحتوى على عدة نقاط خاصة بالعقائد الكرستولوجية . فلقد نبّر الإمبراطور على النقاط الآتية : بأنه لا يعلم ولا يقبل هو والكنيسة الجامعة ، أى قانون إيمان آخر غير قانون الإيمان الذى وضعه الـ ٣١٨ الذين اجتمعوا فى مجمع نيقية والذى ثبته مجمع الـ ١٥٠ أباً فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١ وكذلك مجمع أفسس الأول فى سنة ٤٣١ .

ويواصل الإمبراطور شرحه بما معناه بأن الآباء الذين اجتمعوا فى أفسس فى سنة ٤٣١ حكموا على نسطوريوس وهرطقته ، ونحن نحكم بدورنا أيضا على نسطوريوس وعلى أوطيخا كهرطوقين . على أننا نقبل الحرمانات الإثنى عشرة التى نطق بها القديس كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية ضد نسطوريوس . كما نعترف أيضا بابن الله الوحيد الذى صار فعلاً إنساناً الرب يسوع المسيح ، المتساوى مع الآب بحسب اللاهوت وشبيه بنا بحسب الناسوت . ابن الله الذى (تجسد) حُبِلَ به من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الإله . نعترف بأنه واحد وليس اثنين . وبناء على ذلك فإننا نعلم بأن الذى كان يجرى المعجزات والذى تألم فى جسده هو شخص واحد . فإننا نرفض القسمة أو الخلط فهو الابن الوحيد لله . إن الثالوث ظل ثالوثاً ، حتى بعد أن صار واحداً من الثالوث : كلمة الله ، متجسداً .

فلنعلم إذن بأنه ليس مسموحاً لا للكنائس المقدسة الأرثوذكسية ، ولا للآباء القديسين الذين يرأسونها ، ولا للإمبراطورية جمعاء أن تقبل أو تعترف بأى قانون إيمان آخر غير هذا القانون . وإننا نحرم كل من يفكر أو فكر الآن أو فى أى وقت آخر

---

(1) W.H.C. Frend op. cit. 175 - 180.

مضى سواء فى مجمع خلقدونية أو فى أى مجمع آخر ، غير ذلك الفكر ، فإننا نحرم نسطوريوس وأوطيخا وأتباعهما . فلنتحد إذن فى الكنيسة أمنا الروحية . ولتكن شركتنا شركة إلهية واحدة بحسب قانون الإيمان الذى سلمه الآباء الـ ٣١٨ فهو قانون الإيمان الوحيد الذى يحدد لنا الإيمان[١] .

سبق أن أشرنا بأن الهدف الأساسى لرسالة الإمبراطور كان إرجاع السلام والوحدة فى الإمبراطورية بين الكنائس المنقسمة وخاصة إرجاع السلام بين كنيسة القسطنطينية التى قبلت قرارات وتعاليم مجمع خلقدونية وكنيسة الإسكندرية التى رفضت هذا المجمع وتعاليمه ، وبين بعض الكنائس الأخرى . ولذلك نبّر الإمبراطور مشدداً على بعض المبادىء والعقائد التى قبلتها المجامع السابقة . فهو يرجع إلى قانون نيقية كقانون إيمان جوهرى يجب الرجوع إليه والتمسك به . فإن هذا القانون الإيمانى تقبله كل الكنائس الخلقدونية واللاخلقدونية وكان الإمبراطور فى تمسكه الشديد بقانون إيمان نيقية يضرب على وتر حساس جداً للكنيسة المصرية التى تتمسك بفخر عظيم بهذا القانون ، كما أنه تكلم بوضوح عن اللاهوت والناسوت ، الكلمة الذى تجسد فى بطن العذراء مريم (أم الإله) فهو يعترف أيضا بأن مريم هى والدة الإله . ويحكم على نسطاريوس وعلى أوطيخا اللذين حرمهما أغلبية الآباء من الحزبين . كما أنه قبل حرمانات كيرلس التى نطق بها ضد نسطوريوس ، الأمر الذى تتمسك به كثيراً معظم كنائس الإسكندرية ...

بالرغم من الموقف المعتدل الذى سلكه الإمبراطور فى كتابة رسالة الاتحاد (الهينوتيكون) فإن هذه الرسالة لم ترض الجميع ، لا بل سببت انقساماً آخر فى الكنيسة[٢] لماذا ؟ فلقد رفض بعض الخلقدونيين هذه الرسالة لأنها لم تتكلم عن مجمع خلقدونية ولم تطالب بقانونيه وتطبيق تعاليمه ، كما أن الإمبراطور لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى رسالة القديس ليون العقائدية . كما أنه لم يتكلم لا عن الطبيعة الواحدة ولا عن الطبيعتين[٣] وبالجملة فقد اعتبر كثير من الخلقدونيين بأن رسالة الاتحاد مونوفيزية ويجب رفضها .

---

(1) Evagrius, Hist. eccl, 3, 14; G. Bardy 290 - 292.

* الذين يريدون التوسع فى دراسة محتويات هذه الرسالة الرجاء الرجوع إلى مجموعة الكتب التى أشرنا بها فى هذا الفصل .

(2) P.H. Schaff, 3 vol. op. cit. 763 - 768; L. Hefele. 2. p. 863 - 868.

(3) Murphy. op. cit. p. 42 - 47.

كما رفض كثيرون أيضا من حزب المونفيزيين وخاصة فى مصر رسالة الاتحاد واعتبروها خلقدونية ، وذلك لأنها لم تقدم حكماً صريحاً واضحاً ضد مجمع خلقدونية[1] كما أنها لم تتكلم أيضا عن الطبيعة الواحدة بطريقة واضحة وصريحة . ولم تقبل هذه الجماعة تعاليم الرسالة الإمبراطورية وسوف نرى فيما بعد بأن هذه الجماعة سوف تنفصل عن حزب المونوفيزيين أنفسهم ، فحتى أصدقاء ديوسقوربوس وتيموثاوس القط الإسكندريين رفضوا هذه الرسالة[2] .

أرسل الإمبراطور رسالة الوحدة إلى كل كنائس الشرق طالباً من هذه الكنائس بصفة عامة ومن كنائس مصر بصفة خاصة قبولها والتوقيع عليها ، لأنه كان يوجد فى مصر رئيسان للكنيسة فى هذا الوقت . فعندما مات تيموثاوس سالا فاكيول انتخب حزب الخلقدونيين يوحنا تالاى . كما أن اوثيودورس أسقف من الشرق قام بسيامة بطرس مونج كرئيس أساقفة لحزب اللاخلقدونيين[3] أثناء تواجده فى الإسكندرية .

عندما تولى يوحنا تالاى رئاسة كرسي الإسكندرية انطلق إلى القسطنطينية لكى يثبت مركزه وكرسيه لدى الإمبراطور ولدى أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية . فلم يُوفَّق ولذلك انطلق حالاً إلى روما وقدم شكوى ضد أكاكيوس واتهمه بالمونوفيزية[4] .

أما بطرس مونج رئيس أساقفة الإسكندرية فقد قبل حالاً رسالة الاتحاد بعد أن حرم مجمع خلقدونية ورسالة ليون ، فثبته الإمبراطور فى كرسيه[5] فى الإسكندرية . فمن المحتمل بأن بطرس مونج كان واحداً من الذين كانوا يعملون مع الإمبراطور وأكاكيوس قبل ظهور رسالة الاتحاد ، فى إعداد مشروع اتحاد . فلقد وافق كل من أكاكيوس وبطرس مونج على مشروع الإمبراطور للوحدة . فعند ظهور هذه الرسالة وقع كلاهما عليها ، ودخلا أيضا فى الشركة[6] . وبهذه الخطوة زال سوء التفاهم الذى كان بين الإسكندرية والقسطنطينية .

---

(١) يوحنا لورنس فان موسهيم ٢١٩ – ٢٢١ .

(2) G. Bardy. op. cit. p. 291 - 293.

(٣) الكسندروس . ذكر سابقاً . ص ٢٦٨ – ٢٧٠ .

(4) Evagrius Hist. Eccl. 3. 12 - 13, G. Bardy. 291.

(5) W.H.C. Frend. op. cit. 177 - 190.

(6) ....;

Accius Letter to pete mongus in zach 1. p. 235 - 237; A. letter of peter to accius en evagrius 3, 17.

عندما مدّ بطرس مونج رئيس أساقفة الإسكندرية يده وقلمه لكى يوقع مع أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية على رسالة الوحدة ، (الهينوتيكون) فقد وقّع فى نفس الوقت على معاهدة سلام ومعاهدة خصام . فلقد وقع معاهدة سلام مع كنائس القسطنطينية التى كانت فى صراع مستمر مع كرسى الإسكندرية[1] كما أنه وقّع معاهدة خصام مع جزء من الكنائس المصرية التى لم تقبل هذه الرسالة واعتبرت بطرس خائنا لحزبه بقبوله هذه الرسالة . فلقد انفصل عن بطرس مونج جماعة من المونوفيزيين وكوّنوا حزباً مونوفيزيا جديداً يدعى حزب الأسيفاليين (يعنى الحزب الذى بدون رأس أو بدون قائد)[2] .

أما الرهبان فقد ثاروا ثورة عارمة عندما سمعوا بأن بطرس مونج وقّع على هذه الرسالة واعتبروا هذا الأمر خيانة لكيرلس وتعاليمه . ولقد أرسل الإمبراطور من قبله إلى الإسكندرية كوزماس Cosmas لفحص هذه المشكلة . فجاء من الصحارى ٣٠٠٠٠ ثلاثون ألف راهب لاستقباله مظهرين اعتراضاتهم على رسالة الوحدة . ولكن لم يسمح إلا لمائتين فقط بالدخول إلى المدينة . وشرح لهم بطرس مونج رئيس أساقفة الإسكندرية مفهومه عن شخص الرب يسوع المسيح ، ثم عن مجمع خلقدونية وعن رسالة ليون . فوجد بعضهم أن أفكاره أرثوذكسية[3] . وبالرغم من ذلك لم تظل مشكلة الانقسام فى حزب المونوفيزيين انفسهم قائمة .

ولقد وقّع أيضا بطرس الدباّغ على هذه الرسالة فأعاده الإمبراطور إلى كرسيه فى أنطاكية الذى خُلِعَ منه للمرة الرابعة . وقبل أيضا أناستاس رئيس أساقفة فلسطين رسالة الاتحاد . وهنا نرى بأن رؤساء الأربعة كراسى فى الشرق القسطنطينية الإسكندرية انطاكية وأورشليم قبلوا رسالة الاتحاد الإمبراطورية .

أما روما فقد رفضت رفضاً باتاً هذه الرسالة ، فإن البابا فيلبس الثالث أرسل إلى القسطنطينية بعض الممثلين الذين حملوا معهم من طرفه عدة خطابات إلى كل من

---

(1) W.H.C. Frend op. cit. 180 - 184.

(٢) يوحنا لورنس فان موسهيم ص ٢٢١ .

Ph. Schaff. Vol. 3. op. cit. p. 475 - 480; L. Hefelé 2.p. 866 - 880.

(3) G. Bardy. op. cit. p. 292 - 294.

الإمبراطور زينون وإلى رئيس أساقفة القسطنطينية وآخرين من القادة ، طالباً منهم جميعاً التمسك بقرارات مجمع خلقدونية ورسالة القديس ليون ، ورفض الهرطقة المونوفيزية . لا بل طالب بتشكيل محكمة لكى تنظر فى قضية أكاكيوس[١] .

لم يفلح هذا الوفد البابوى فى المهمة التى أُرسل من أجلها فلقد استطاع الإمبراطور كسب البعض من هذا الوفد عن طريق الهدايا والبعض الآخر بالتهديد[٢] .

وعندما رجع هذا الوفد من مهمته عقد البابا فيلبس مجمعاً محليا فى روما فى ٢٨ يوليو سنة ٤٨٤ مكوناً من ٧٧ أسقفاً وحرم الوفد الذى تواطأ مع الإمبراطور ومع أكاكيوس . كما أنه حرم أيضا اكاكيوس رئيس أساقفة القسنطينية[٣] . لم يقبل أكاكيوس هذا الحرمان ورفع اسم البابا فيلبس من الذبيحة . وهنا انفصلت كنيسة القسطنطينية عن كنيسة روما واستمر هذا الانفصال حوالى أربعين عاما[٤] من سنة ٤٨٤ — ٥١٩ .

فمع أن عدداً كبيراً من المونوفيزيين لم يوقع على رسالة الوحدة وقاوم بشدة وعنف الإمبراطور زينون وسياسته الدينية وخاصة الحزب المتطرف المتعصب ، فإن الإمبراطور زينون عمل بسياسته ورسالته على تقوية وانتشار المونوفيزية دون أن يقصد ذلك ، لأن سياسته وخاصة الهدف الذى من أجله كتب الهينوتيكون لم يكن لتقوية حزب أو تفضيل حزب على آخر ، بل دعوة الأحزاب خلقدونيين والاخلقدونيين إلى التفاهم والوحدة والسلام . فعندما ترك الإمبراطور هذا العالم فى سنة ٤٩١ ترك خلفه حزباً مونوفيزيا قوياً ، وكنيسة شرقية تكاد تكون متحدة . فلقد استطاع أن يحصل على توقيعات رئيس أساقفة القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية ، وفلسطين على رسالة الاتحاد . وتمّ الاتحاد بين هذه الكراسى وخاصة بين كرسى القسطنطينية وكرسى الإسكندرية اللذين كانا فى صراع مستمر . ولكن للأسف الشديد فإن رسالة الاتحاد التى وحدت بين هذه الكراسى

---

(1) G. Bardy. op. cit. 294 - 296.
(2) L. Hefelé 2. p. 867 - 872.
(3) Hefelé 2. 869 - 875; G. Bardy op. cit 294 - 297; Murphy. p. 44 - 49.
(4) V.C. Samuel. op. cit. 110 - 112; p. du bose, s.t.b. vol. 3 p. 270 - 275; G. Bardy. op. cit. 294 - 297; W.H.C. Frend p. 262 - 265; PH. Schaff vol. 3. p. 765 - 770; Hughes op. cit. p. 80 - 82.

د . أسد رستم الجزء الأول ٣٥١ ؛ لورنس فان موسهيم ص ٢٢١ الكسندروس ص ٢٧٠ .

الشرقية الأربعة كانت هي نفسها التي سببت الانقسام والانفصال بين كنائس الشرق وكنائس الغرب وبصفة خاصة كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما . واستمر الانقسام حوالى أربعين سنة .

عبرت الحركة المونوفيزية فترة تجربة قاسية مريرة بفقد بعض قادتها . فلقد مات بطرس الدباغ رئيس أساقفة أنطاكية فى سنة ٤٨٨ ، وأكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية فى سنة ٤٨٩ وبطرس مونج رئيس أساقفة الإسكندرية فى ٤٩٠ . وأخيراً الإمبراطور زينون فى سنة ٤٩١ . بالرغم من هذه التجربة القاسية بالنسبة للمونوفيزيين فإن حزبهم كان فى تقدم وانتشار .

الفصل الخامس

الإمبراطور انسطاسيوس (أو انستاسيوس) يقبل عقيدة الطبيعة الواحدة ويعمل على انتشارها

لقد استطاع الإمبراطور زينون فى محاولته تطبيق رسالة الاتحاد أن يُوَجِدَ أو على الأقل يعمل ولو بطريقة سطحية على ارجاع الشركة بين كراسى الشرق الأربعة (القسطنطينية ، الاسكندرية ، انطاكية وأورشليم) . لكنه لم يكن موفقاً كل التوفيق فى نشر السلام وتوطيده بين كل الكنائس . ففى عهده انفصلت كنيسة روما عن كنائس الشرق ، وخاصة عن كنيسة القسطنطينية . فإن المجمع الذى عقده البابا فيلبس الثالث فى روما فى ٤٨٤ والذى حرم فيه اكاسيوس سبب انزعاجاً واضطراباً فى كنائس الشرق . فمع أن الهينوتيكون كانت مقبولة ومعمولاً بها فى معظم كنائس الشرق . إلا أن روما رفضتها وكذلك أيضا عدد لا بأس به من كنائس الشرق .

فقد أظهر البعض عدم موافقتهم مع سياسة زينون وخاصة فى القسطنطينية . ولذلك فعندما مات الإمبراطور زينون فى أبريل سنة ٤٩١ التمس الشعب من أرملة الإمبراطور الراحل بأن تشير عليهم بإمبراطور أرثوذكسى[١] كان الإمبراطور الراحل يعمل قبل وفاته على أن يخلفه على العرش أخوه لونجينوس ، ولكن هذا الأخير لم يكن جديراً بأن يحتل هذا المنصب[٢] فاقترحت الإمبراطورة اريادنة (Ariadné) ابنة الإمبراطور ليون اسم انستاسيوس الموظف فى البلاط الإمبراطورى ، وكان قد تجاوز الستين من عمره . كان الرجل تقياً ورعاً فعُرِف بحياة التقشف والزهد والتسابق فى عمل الخير وتقديم المساعدات لمن هم فى حاجة لمساعدة مادية أو روحية أو أدبية . كما كان نشيطاً أيضا فى كنيسته : فكان يقوم بمهمة الوعظ والتعليم . فانتشرت سمعته الطيبة . ولذلك

---

(1) Gray op. cit. 32 - 40.

(2) G. Bardy. 302; د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٥٢

عندما مات بطرس الدبّاغ رئيس أساقفة انطاكية فكرّ الكثيرون فيه لسيامته رئيس أساقفة بدلاً من بطرس(١) .

عندما جلس الإمبراطور انسطاسيوس على العرش كان قد تجاوز الستين من عمره ، وتزوج من أريادنة ابنة الإمبراطور ليون – (وأرملة الإمبراطور السابق زينون)(٢) – بدأ ملكه باصلاحات كثيرة اجتماعية وسياسية واقتصادية ، لنشر العدل الاجتماعى والرفاهية بين الشعب . وبعد ذلك بدأ الاهتمام بالسياسة الدينية ، فمع أن انسطاسيوس استجاب لطلب أوفيجيبوس رئيس أساقفة القسطنطينية الذى طالبه بأن يتمسك بالإيمان القويم وأن لا يعارض قرارات مجمع خلقدونية(٣) وأن يوقع بذلك قبل أن يتوج ، لكنه ما أن اعتلى العرش حتى قبل الطبيعة الواحدة وعمل على نشرها(٤) .

كان الإمبراطور انسطاسيوس فى بداية ملكه مشغولاً بأمور كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية : الحرب مع الفرس التى لم تنته إلا فى سنة ٥٠٥ ، ثورة الأشوريين . كما أنه أظهر اهتماماً خاصاً بإنعاش اقتصاديات البلاد واصلاحها من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية . وبذلك استطاع أن يحقق نجاحاً سياسياً واقتصادياً يعتبر من أهم الانجازات فى كل العصر البيزنطى(٥) .

ومن الناحية الدينية فقد طالب بتطبيق الهينوتيكون ولكن لم يهتم كثيراً (لسبب انشغاله) بمراقبة تنفيذ الرسالة ولذلك فقد انقسمت الكنائس كما سبقت الإشارة إلى ذلك إلى ثلاثة أحزاب . (١) جماعة الخلقدونيين (٢) جماعة اللاخلقدونيين (٣) حزب وسط بين الاثنين كان يؤيد الهينوتيكون ويطالب بتطبيقها .

وترك الإمبراطور لهذه الأحزاب الثلاثة نوعاً من الحرية فى ممارسة العقيدة بالرغم

---

(1) G. Bardy. op. cit. p. 302.
(2) V.C. Samuel op. cit. p. 112 - 120; Gray. p. 32 - 36.
(3) Bardy. 302.
(4) ...., Hughes op. cit. p. 80 - 85;
Gray, op. cit. 32 - 36; Mircea Eliad. 66 - 70,
د . أسد رستم – الجزء الثالث ٣٥٢ ، الكسندروس ٢٧٠ – ٢٧١ .
(5) F.X. Murphy ET. Sher Wood Constantinople 2.83. P. 46.

من أنه فرض الهينوتيكون على الكنائس دون أن يدقق فى طريقة تطبيقها لانشغاله بأمور كثيرة أخرى كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وبالرغم من هذا فإن الإمبراطور لم يستطع أن يتغلب أو حتى يتجنب الاصطدام بالحزب المعارض له : أى الحزب الخلقدونى . وخاصة أن القسطنطينية كانت تعتبر الحصن الحصين لجماعة الخلقدونيين . ولقد بدأ سوء التفاهم بين رئيس أساقفة القسطنطينية أوفيميوس والإمبراطور أنستاسيوس من أول يوم جلس فيه الإمبراطور على العرش عندما تنكر لتعهده بالفكر الخلقدونى .

لم يكتف اوفيميوس بأن يطالب الإمبراطور بأن يوقع على تعهد مكتوب بأن يعضد الحزب الخلقدونى بل طالب بعقد مجمع . واجتمع المجمع فعلاً فى القسطنطينية وأصدر الأساقفة المجتمعون تحت رئاسة رئيس أساقفة القسطنطينية تأييده لقرارات مجمع خلقدونية ورسالة ليون[1] ، وبعد انفضاض المجمع وفى نفس السنة كتب رئيس أساقفة القسطنطينية رسالتين إلى بابا روما ليعلن له فيهما تمسكه الشديد بقرارات خلقدونية وسبب عدم امكان إغفال اسم أكاسيوس من الصلاة فى الكنيسة ، لم يكن الإمبراطور أنستاسيوس راضياً على هذه التصرفات والإجراءات التى قام بها رئيس الأساقفة واعتبرها إهانة له .

ومما زاد فجوة الخلاف بين الاثنين أن الإمبراطور حاول عدة مرات أن يسحب التعهد الذى كتبه يوم تتويجه فلم يقبل أوفيميوس ذلك . ولذلك فقد حاول الإمبراطور إيجاد فرصة للإيقاع بأوفيميوس . فعندما أظهر رئيس أساقفة القسطنطينية عدم ارتياحه على سياسة الإمبراطور ضد الأشوريين اتهم بالخيانة الوطنية وتعاونه مع العدو ، فعقد مجمع فى سنة ٤٩٦ وحكم بخلعه ونفيه . ورغم أن أوفيميوس كان شجاعاً تقياً ومثالياً أحبه الشعب وتمسك به ، لكن تم خلعه ونفيه[2] بعيداً عن كرسى القسطنطينية .

● الخلقدونيون واللاخلقدونيون فى عهد انسطاسيوس

عندما نتحدث عن موقف الإمبراطور انسطاسيوس من جماعة الخلقدونيين الذين قبلوا عقيدة الطبيعتين فى شخص المسيح ، وكذلك رسالة القديس ليون العقائدية

---

(1) Victor DE. Tonnea, Chronicon, a. 492; F.X. Murphy p. 51.
(2) G. Bardy. 301; Gray p. 34 - 38, p. G. 86. Col. 188 - 189.

وقرارات مجمع خلقدونية ، وموقفه من جماعة المونوفيزيين الذين قبلوا عقيدة وجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح ورفضوا رسالة ليون العقائدية ، يجب علينا أن نقسم فترة ملكه إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى من سنة ٤٩١ – ٥٠٥ والمرحلة الثانية من ٥٠٥ – ٥١٨ .

المرحلة الأولى :

كان الإمبراطور انسطاسيوس فى المرحلة الأولى من ملكه ٤٩١ – ٥٠٥ مشغولاً بأمور كثيرة ، اقتصادية وسياسية واجتماعية كما انشغل فى الحروب ضد الفرس والأشوريين . ولأجل هذه الأسباب لم يعر اهتماماً كبيراً للصراعات العقائدية والحزبية ، مع أنه طالب بتطبيق الهينويتكون (رسالة زينون للوحدة) دون أن يدقق كثيراً فى تطبيقها . وهذا الأمر ترك نوعاً من الحرية للأساقفة وللأحزاب الدينية لكن ماذا عن الحزبين العقائديين (الخلقدونى واللاخلقدونى) فى الفترة الأولى من حكم انسطاسيوس ؟ .

(أ) **مصر** : كان الحزب المونوفيزتى فى مصر منذ ٤٥١ أى بعد مجمع خلقدونية حزباً قوياً – منتشراً فى كل البلاد تقريباً . وظل هذا الحزب قويا . ففى الفترة الأولى من حكم انسطاسيوس جلس على كرسى مرقس أثناسيوس الثانى من ٤٩٠ – ٤٩٦ ثم خلفه يوحنا الثانى من سنة ٤٩٦ – ٥٠٥ وكان الاثنان من الذين تمسكوا بالمونوفيزية وعلّموا بها . وحتى فى الفترة الثانية من ملك انسطاسيوس وبعدها وبالرغم من الاضطهاد الذى قام به الملك ضد المونوفيزية نرى ، يوحنا الثالث من ٥٠٥ – ٥١٦ .

دوسقوروس الثانى من ٥١٥ – ٥١٨ وتيموثاوس الرابع ٥١٨ – ٥٣٥ ، هؤلاء الأساقفة الإسكندريون تمسكوا بتعاليم الطبيعة الواحدة ورفضوا قرارات مجمع خلقدونية ورسالة ليون[1] .

(ب) **انطاكية** : كان الموقف فى انطاكية يختلف عن الموقف فى مصر ، وبعض المناطق الأخرى فى الشرق . ففى انطاكية ولدت ونمت وكبرت الحركة الازدواجية (الاعتقاد بوجود طبيعتين) ، وقد انتشرت فيها تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس

(1) G. Bardy. op. cit. p. 303; F.X. Murphy 49 - 54; Tixeront. 3. p. 108 - 110.

ونسطوريوس : التعاليم الخاصة بوجود طبيعتين متميزتين . هذه التعاليم التى وافق عليها مجمع خلقدونية . ففى انطاكية كان يوجد إذن حزب خلقدونى قوى . وفى الوقت نفسه كان يوجد حزب آخر لا خلقدونى لا يستهان به وكان على رأس هذا الحزب بلاديوس (Palladius) رئيس أساقفة انطاكية ، الذى خلف بطرس الدبّاغ . ولقد سبق أن رأينا أن بطرس الدبّاغ كان راهباً مونوفيزيتيا متعصباً ومتحمساً جداً لتعاليم الطبيعة الواحدة وقام بحملة تعليمية مكثفة لنشر تعاليم الطبيعة الواحدة ورفض تعاليم خلقدونية عقيدة الطبيعتين . ولقد صار بطرس أسقفاً لمدينة أنطاكية وطرد منها ورجع إليها ثم طرد منها حوالى أربع مرات . إلى أن تثبت على كرسى انطاكيا فى سنة ٤٨٢ وظل فيها حتى موته سنة ٤٨٨ . وخلفه على الكرسى بلاديوس الذى قبل التوقيع على الهينوتيكون وكان مونوفيزياً فوجد نعمة فى عينى الإمبراطور المونوفيزتى . وخاصة عندما بدأ فى نشر التعاليم المونوفيزية ورفض رسالة ليون العقائدية وقرارات مجمع خلقدونية . ولقد ساعده فى المعركة العقائدية ضد جماعة الخلقدونيين فيلوكسينوس (Philoxéne) اسقف مابوغ وهذا الأخير سوف يقوم بدور مهم جداً فى تطور تعاليم الطبيعة الواحدة مما سنشرحه فيما بعد .

(جـ) **أورشليم** : كان سالوستيوس (Sallustius) رئيس أساقفة أورشليم مونوفيزيتيا . وكان لهذا الحزب أتباع كثيرون وخاصة فى دير بطرس الابرى Pierre d'iberie وخلفه الياس فى سنة ٤٩٤ وكان خلقدونياً معتدلاً جداً ، فعمل على نشر السلام بين الكنائس .

(د) **القسطنطينية** : كانت القسطنطينية الحصن المنيع والمدافع الساهر عن تعاليم وقرارات مجمع خلقدونية . ولقد حاول معظم رؤساء أساقفة العاصمة المحافظة على هذه الشهرة . لا بل طالب رؤساء الأساقفة من الأباطرة التمسك بقرارات مجمع خلقدونية والعمل بها . ألم يطلب أوفيميوس رئيس أساقفة القسطنطينية من انسطاسيوس الإمبراطور بأن يوقع على إقرار مكتوب بأن يتمسك بتعاليم خلقدونية ويعضدها ، قبل أن يضع تاج الإمبراطورية على رأسه ؟ ولقد رأينا الصراع العنف بين الإمبراطور المونوفيزتى ورئيس الأساقفة الخلقدونى ، وانتهى هذا الصراع بخلع ونفى اوفيميوس سنة ٤٩٦ . وخلفه على كرسى القسطنطينية مقدونيوس (Macedonius) فى سنة ٤٩٦ – ٥١١ . ومع أن مقدونيوس قبل التوقيع على الهيتوتيكون الأمر الذى أعثر كثيراً الرهبان الخلقدونيين ،

إلا أنه كان خلقدونياً . فبعد جلوسه على كرسى القسطنطينية جمع مجمعاً محلياً تثبتت فيه قرارات مجمع خلقدونية وتعاليمه الخاصة بالطبيعتين فى شخص المسيح يسوع .

بالرغم من ذلك كان يوجد حزب مونوفيزتى لا يستهان به فى القسطنطينية ، فلا يغيب عن بالنا أن أوطيخا الذى علّم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح كان رئيس دير فى القسطنطينية . ولقد انتشرت تعاليمه من القسطنطينية إلى البلاد الأخرى .

(هـ) **روما** : مما لا شك فيه أن روما لم تكن من الذين تمسكوا بقرارات مجمع خلقدونية فحسب ، بل كانت الحارس الساهر والمدافع المتيقظ ضد كل ما يمس هذا المجمع وقراراته من قريب أو من بعيد . وكيف لا تدافع روما عن مجمع خلقدونية بكل قواها وهو المجمع الذى بنى قراراته وتثبّت تعاليمه العقائدية على رسالتى المعلمين العظيمين القديس ليون بابا روما (الرسالة العقائدية لفلافيانوس) وكيرلس الإسكندرى (رسائله إلى نسطوريوس) ؟ ولقد رفضت روما من البداية التعاليم المونوفيزية ، ولذلك فقد رفضت رسالة الوحدة التى كتبها زينون فى ٤٨٢ لما لمسته من شبهة تعاليم الطبيعة الواحدة . ولأجل ذلك أيضا حرم البابا فيلبس الثالث أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية (٤٨٤) لأنه قبل الهينوتيكون ومن ذلك التاريخ حدث فصل واضح بين كرسى روما وكرسى القسطنطينية فانقطعت العلاقات بينهما ودام هذا الانفصال حتى سنة ٥١٨ . ولقد حاول بعض أساقفة القسطنطينية مثل اوفيميوس ومقدونيوس إرجاع هذه العلاقة وخاصة فى أيام البابا جلاس (Gelase) فلم يفلحوا بالرغم من أنهم كانوا هم أيضا (أساقفة القسطنطينية) خلقدونيين . فلقد اشترط جلاس بابا روما من أساقفة القسطنطينية لارجاع الشركة والعلاقات بين الكنيستين ، بأن يحذفوا اسم اكاكيوس من الصلوات ولم يقبل أساقفة القسطنطينية هذا الشرط لأن اكاكيوس كان يتمتع بمكانة مرموقة لدى الشعب والاكليروس .

وعندما مات البابا جلاس فى ٢١ نوفمبر ٤٩٦ خلفه على كرسى روما انستاسيوس الثانى . وكان انستاسيوس متسامحاً متساهلاً ، فعندما جلس على كرسى روما كتب إلى الإمبراطور انستاسيوس الرسالة التقليدية . ويحتمل أنه طالب مثل سابقيه حذف اسم اكاكيوس من الصلوات ، ولكنه لم يشدد على ذلك ، كما أنه أعلن للإمبراطور بأن الفجوة التى تفصل الكنيستين ليست فجوة واسعة عميقة كما يبدو حسب الظاهر ، بل يمكن تخطيها لتعود العلاقات بين الكنيستين .

وللأسف الشديد مات البابا انسطاسيوس الثانى فى ١٩ نوفمبر سنة ٤٩٨ قبل أن يحقق الوحدة بين الكنيستين ، وخلفه على كرسى روما سيماك (Symmaque) ولقد نهج فى سياسته الخارجية الخاصة بالعلاقات المسكونية نفس الأسلوب الذى اتبعه جلاس وهنا زادت الخلافات بين كنيسة روما والكنائس الشرقية .

من هذه اللمحة التاريخة العقائدية السريعة يتضح لنا جيداً بأن الإمبراطور انسطاسيوس كان مشغولاً بأمور أخرى سياسية وغير عقائدية كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وهذا الأمر أباح للبعض قبول أو رفض العقيدة التى يريدها . وقبل أن ننتقل إلى المرحلة الثانية من حياة الإمبراطور انسطاسيوس وموقفه من الكنيسة يمكنا تلخيص تطور الحزبين الخلقدونى وغير الخلقدونى قبيل وأثناء الفترة الأولى من حكم انسطاسيوس : لقد استطاع الإمبراطور زينون الحصول على موافقة الأغلبية الساحقة من أساقفة الشرق على رسالته الشهيرة التى تدعى الهينوتيكون (رسالة الوحدة) وبذلك استطاع ولو حسب الظاهر أن يحقق الوحدة بين كل كنائس الشرق ويرجع السلام إلى الكنائس التى كانت فى صراع دائم ومنذ مدة طويلة وخاصة بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة القسطنطينية . فعن طريق هذه الرسالة أصبحت الكراسى الشرقية الأربعة متحدة وأرجعت العلاقات المقطوعة بين القسطنطينية والإسكندرية وانطاكية وأورشليم . على أن هذه الوحدة الرباعية لم تستمر طويلاً ، لأن القسطنطينية كانت متمسكة بقرارات خلقدونية ورفضت المونوفيزية ولذلك نرى بأن كل من بالاديوس (Palladios) رئيس أساقفة أنطاكية وكذلك سالوستيوس (Sallustios) رئيس أساقفة أورشليم متحدين مع رئيس أساقفة الإسكندرية ورفضوا الشركة مع القسطنطينية الخلقدونية .

فمع أن الوحدة بين الكراسى الشرقية الأربعة تمت فى أيام وعلى يد وبفضل رسالة الوحدة ومجهودات اكاسيوس رئيس أساقفة القسطنطينية ، فللأسف الشديد فإنه بسبب رسالة الوحدة هذه وبسبب انضمام اكاكيوس وتوقيعه على هذه الرسالة حدث انشقاق عميق جداً بين كنائس الشرق كلها وبين كنيسة روما من سنة ٤٨٤ إلى سنة ٥١٨ .

المرحلة الثانية :

كان الإمبراطور انسطاسيوس مونوفيزتياً مقتنعاً داخلياً بوجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح وكان يعلم هو نفسه بهذا التعليم . كما أنه كان تقياً وأظهر فى بداية حكمه

روحاً طيبة وأخلاقاً سامية فى خدمة الوطن وفى خدمة الكنيسة . ولذلك فقد أحبه المونوفيزيون وخلعوا عليه ألقاباً سامية كثيرة مثل « صديق الله ، الإمبراطور المسيحى ، الإمبراطور الذى يحيا فى خوف الله » ...

وعندما انتهى انسطاسيوس من الحروب مع الفرس فى حوالى سنة ٥٠٥ ، بدأ يركز مجهوداته ناحية الكنيسة لحل مشاكلها العقائدية والحزبية . ففكر فى دعوة بعض قادة المينوفيزيين لكى يناقش معهم عمل خطة لنشر العقائد المونوفيزية فى الإمبراطورية . فوقع اختياره على شخصيتين من أشهر الشخصيات البارزة فى قيادة الحركة المونوفيزية فى عصره . وهما فيلوكسينوس (Philoxenos) والثانى سيفير (ساويرس) (Sévère)[١] ولقد قام كلاهما بدور مهم جداً من الناحية العملية والتعليمية فى نشر تعاليم الطبيعة الواحدة . ولذلك نرى من اللازم أن نقدم موجزاً لحياة هذين الرجلين وتعاليمهما الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح . والدور الذى قام به كل منهما فى مقاومة ورفض مجمع خلقدونية ونشر العقيدة المونوفيزية .

(١) فيلوكسينوس

من هو فيلوكسينوس ؟ يعتقد البعض بأنه كان عبداً فارسياً ويدعى اكسينائياس[٢] ولد بين ٤٤٠ — ٤٥٥ فى برسيا وكان له أخت وأخ وكان أخوه يدعى عدّاى (Addai) وكان مدرساً فى مدرسة الرها (Edessa) . بدأ دراساته فى مدرسة الرها . ولقد انتشر فى هذه المدرسة تياران عقائديان فى تلك الفترة . **التيار الأول** هو تعاليم ثيودوريوس الموبسيوستى (وديودوريوس الطرسوسى ، ونسطوريوس) والتيار الثانى الذى كان منتشراً فى مدرسة الرها هو تعاليم القديس كيرلس الإسكندرى .

أما فيلوكسينوس فكان من أتباع كيرلس المتمسكين بتعاليمه والمتحمسين لنشرها . ومع أنه من أتباع كيرلس فكرياً فقد درس كتابات أضداده أمثال ثيودوريوس الموبسيوستى وديودوريوس الطرسوسى وايباس ...

---

(1) Hughes. op. cit. p. 80 - 85; G. Bardy op. cit. p. 308 - 309; F.X. Murphy. p. 59 - 63.

(٢) د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٥٢ .

وعندما أنهى دراساته فى مدرسة الرها ذهب إلى مدينة أنطاكية ، وعلى ما يعتقد البعض بأنه بدأ هناك بالوعظ والتعليم مؤيداً العقائد المونوفيزية ورسالة الإمبراطور زينون للوحدة ، فطرده من المدينة البطريرك كالانديون (Calendion) . ولكن عندما رجع بطرس الدبّاغ للمرة الرابعة والأخيرة إلى أنطاكية وصار رئيس أساقفة لها . دعى فيلوكسينوس إلى العودة إلى المنطقة وأقامه أسقفاً على مابوغ (Mabboug) وكانت هذه المدينة تعتبر مركزاً حيوياً ونشيطاً فى ذلك الوقت .

ولقد رأى بطرس الدباغ فى شخص فيلوكسينوس خير مساعد له لمقاومة الحزب الخلقدونى ولذلك فقد دعاه إلى أبرشيته ونصبه أسقفاً على أهم مدنها .[١]

قام فيلوكسينوس بمحاربة الخلقدونية بدون هوادة أينما وجدت . ولم يكتف بمقاومة حزب الخلقدونيين فى مدينة مابوغ فقط ، بل جال فى الشرق كله ناشراً التعاليم المونوفيزية ومُندداً بالتعاليم الخلقدونية الازدواجية . ولم يستعمل الوعظ والرحلات والمناقشات فقط لتأييد عقيدة الطبيعة الواحدة ، بل استعمل أيضا الكتابة ، وكان كاتباً واسع الاطلاع فدرس وبحث ليس فقط أفكار وتعاليم معلمى المونوفيزية بل كتابات وتعاليم اضداده فى العقيدة . ولقد كتب عدة مؤلفات وأشهر هذه الكلمات : كتابه عن التجسد ثم الثالوث . كما أنه كتب عدة رسائل عقائدية هدفها الدفاع عن المونوفيزية ورفض الخلقدونية[٢] وبذلك صار فيلوكسينوس واحداً من قادة الحركة المونوفيزية الذين يُشار إليهم بالبنان . كما نجح فى الحصول على ثقة الإمبراطور انسطاسيوس ولقد ربطت بينهما علاقة صداقة قوية .[٣] كان الإمبراطور مونوفيزيا ورأى فى صديقه فيلوكسينوس مونوفيزيا متحمساً فشجعه على مقاومة جماعة الخلقدونيين . فاستغل أسقف مابوغ هذا التشجيع الإمبراطورى وقام بحرب شعواء على الخلقدونية والنسطورية . والتعاليم الأنطاكية والازدواجية .[٤] ولقد بدأ صراعه العقائدى ضد

(1) A de Hai Philoxene de Mabboug. Savie ses ećrits sa theologie p. 48 - 50.

(2) J. Lebon. p. 110 - 120;

كتاب اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية . تأليف البطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم ص ٢٢٤ — ٢٣٥ .

(3) F.X. Murphx et p. Sherwood p. 46 - 48.

(4) Evagrius Hist. Eccl. 3, 30 - 32.

فلافيانوس (Flavien) رئيس أساقفة أنطاكية الخلقدونى ، واتهمه بالنسطورية[1] فدافع فلافيانوس عن نفسه وأعلن حرمه لنسطوريوس وأوطيخا .

وقد حاول فيلوكسينوس أن يستغل صداقته للإمبراطور لنشر تعاليمه الخاصة بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . ولذلك فقد كتب رسالة طويلة يشرح فيها للإمبراطور الإيمان الحقيقى ، وأنه من الضرورى الحكم على الهرطقات والتعاليم التى تتعارض وهذا الإيمان القويم . عندما أطلع الإمبراطور المونوفيزتى على هذه الرسالة اقتنع بها ، وطلب بأن يحضر فيلوكسينوس حالاً إلى القسطنطينية. ولكن عند حضوره رفض مقدونيوس (Macédonius) رئيس أساقفة القسطنطينية استقباله ، وثار شعب القسطنطينية على هذا الأمر ، فاضطر فيلوكسينوس إلى الهروب من المدينة ليلاً .

لكن هذه الهزيمة لم تثن من عزم أسقف مابوغ (Mabbough) . فعندما رجع إلى سوريا بدأ من جديد فى صراعه العقائدى ضد الأسقف فلافيانوس الرجل المسالم . فلم يكتف فيلوكسينوس المتعصب الثائر ، بالحرمان الذى سبق أن نطق به فيلافيانوس ضد نسطوريوس وتعاليمه ، بل طلب أيضا من رئيس أساقفة انطاكية أن يوقع على إقرار يحرم فيه ليس فقط نسطوريوس بل يحرم أيضا تعاليم ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الميوسيوستى وإيبا وآخرين من معلمى انطاكية الذين نادوا بوجود طبيعتين فى المسيح[2] ولقد تطرف فيلوكسينوس فى صراعه ضد رئيسه فلافيانوس فطلب منه أيضا بأن يوقع على وثيقة يعترف فيها بعدم قبوله لأعمال مجمع خلقدونية . وخاصة التعاليم التى تشير إلى وجود طبيعتين فى المسيح يسوع ، ووقع هذا الرجل المسالم على هذه الوثيقة .

على أن هذا الرجل المسالم لم يستطع الاستمرار فى هذه الحالة ، ففقد صبره أمام الهجمات المتوالية العديدة التى قام بها الأسقف فيلوكسينوس ضده . ولذلك فقد دعا لعقد مجمع فى أكتوبر سنة ٥١٢ للنظر فى هذه الأمور ، ولقد حضر هذا المجمع حوالى ثمانون أسقفاً ، وممثل من طرف الإمبراطور . ولقد جاء إلى هذا المجمع ساويرس مع رهبانه ، كذلك فيلوكسينوس وقد جمع حوله عدداً قليلاً جداً من الأساقفة اللاخلقدونيين – حوالى عشرة فقط .

---

(1) Evagrius Hist. eccl 3. 31.

(2) Lebono., J., Monophysisme 46 - 49.

ولكن جاء وفد كبير من الرهبان المونوفيزيين لتأييد فيلوكسينوس وتعاليمه . وقدموا إلى المجمع رسالة يعرضون فيها تعاليمه ، ويفندون تعاليم خلقدونية فى ٧٧ بنداً رافضين هذه التعاليم مع رسالة ليون .[١] وقام بالرد على هذه الاعتراضات بعض الآباء الخلقدونيين مستشهدين ببعض كتابات ورسائل بعض المونوفيزيين أنفسهم أمثال بطرس الدباغ واثناسيوس الثانى ويوحنا الثانى الذين وقعوا على رسالة الوحدة (الهينوتيكون) و لم يعلنوا حرمهم بطريقة واضحة لرسالة ليون ولا لمجمع خلقدونية[٢] . فسيطرت الحيرة على الرهبان المونوفيزيين ، وخرج فيلوكسينوس ووفده ورهبانه من مجمع صيدا حاقدين ساخطين لفشلهم .

وبالرغم من الفشل الذى واجهه فى مجمع صيدا فإن فيلوكسينوس بدأ من جديد صراعه العنيف ضد رئيس أساقفة انطاكية الرجل المسالم ، فحاك ضده المناورات والمؤامرات وبث الخلاف بينه وبين بعض أساقفته . والتف حوله جماعة من الرهبان المونوفيزيين المتعصبين[٣] لتأييده ضد فلافيانوس ولقد أرسل جماعة من هؤلاء الرهبان إلى القسطنطينية لكى يلتمسوا من الإمبراطور خلع فلافيانوس رئيس أساقفة انطاكية[٤] فتم لهم ما أرادوا بفضل علاقة فيلوكسينوس بالإمبراطور انسطاسيوس المونفيزتى . وهكذا استمر فى نشر المونوفيزية ومقاومة الخلقدونية . ولكن بعد موت الإمبراطور انسطاسيوس فى سنة ٥١٨ قبض على فيلوكسينوس ونفى . ولقد سجن فى بيت هناك قد أغلقت نوافذه وأشعلت فيه النيران فمات مخنوقاً[٥] .

● تعاليـم فيلوكسينـوس الكرستولوجيـة

كان فيلوكسينوس من أعظم قادة الحركة المونوفيزية وأحد كتابها الموهوبين فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس ، ولقد كتب فى اللغة السريانية وهى لغته الأصلية . وقد نُشر حديثا كتابه عن « واحد من الثالوث تجسد وتألم » . ثم عدة

---

(1) Zacharie le rhéteur, hist, ecc, 7, 11.
(2) Sévère epist. iv, 2., G. Bardy. 311.
(3) Evagrius hist. Eccl. 3. 32.
(4) Zacharie le rhéteur, hist. Eccl., 7, 12.
(5) Chesnut. p. 6, د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٦٠

خطابات ومجموعة من محاضراته عن التقشف[1] وفيما يختص بموضوع دراساتنا ترى ماذا كانت تعاليم فيلوكسينوس الكرستولوجية ؟ كيف فهم عملية الاتحاد ، وهل هو اتحاد اقنومين أو طبيعتين فى شخص المسيح يسوع ؟ .

يعتقد فيلوكسينوس بأنه يوجد عنصران فى شخص المسيح يسوع اللاهوت والناسوت . ولكن هذان العنصران لا يكونان إلا شخصاً واحداً واقنوماً واحداً (وطبيعة واحدة) وهو شخص الرب يسوع المسيح الاقنوم الثانى من الثالوث . فالعنصر الأول هو اللاهوت : الله الكلمة أى من طبيعة الله نفسه ؛ والعنصر الثانى هو الناسوت من طبيعة العذراء القديسة مريم . ويتحدث معلم مابوغ عن الولادة الجسدية الطبيعية للإنسان فيذكر أن اندماج الخليتين الذكرية والأنثوية يكوّن الجنين ، لقد حدث تغيير فى كل خلية منهما وعن طريق هذا التغير تمّ الاتحاد بينهما فتكوّن جنين واحد . اما فى عملية التجسد واتحاد اللاهوت بالناسوت لم يحدث أدنى تغير فى أى عنصر من العنصرين لتكوين شخص الرب يسوع المسيح[2] . إن هذه العملية عملية إلهية وتفوق الإدراك البشرى ولا يمكن فهمها بالعقل المحدود . يرفض فيلوكسينوس رفضاً باتاً تغير خواص اللاهوت أو الناسوت بسبب الاتحاد[3] .

وفيما يخص موضوع عدم التغيير فى أى عنصر من العنصرين كتب يقول « لقد صار إنساناً ، ولكنه لم يتغير ... لقد صار فعلاً جسداً بشرياً شبيهاً لنا فى كل شيء ما عدا الخطية . على أن هذا الجسد لم يكن جسداً خالياً من الروح العاقلة . كان يتمتع إذن بروح وعقل ؛ فإن الله صار فعلاً وحقيقة إنساناً . فإن فيلوكسينوس يذكر بأنه توجد روح عاقلة إذ يوجد اللوغوس ثم الجسد مع الروح العاقلة ، فبذكره روح عاقلة أبعد عن نفسه هرطقة ابولوناريوس الذى يعتقد بأن المسيح كان يتكوّن من اللوغوس ثم من جسد بشرى بدون روح عاقلة . فإن فيلوكسينوس يعلم بوجود روح عاقلة فى المسيح كما يشدد على حقيقة عديم التغيير فى أى عنصر . فاللاهوت : الكلمة — الله ظل على ما كان عليه قبل التجسد ، والعنصر البشرى هو شبيه بنا = عنصر بشرى . وبين هذين العنصرين تمّ اتحاد قوى عميق .

---

(1) Philoxein de mabboug de trinitate et incarnatione; csco syr. 2, T. 27 éd. A vaschalde. Paris - Rome 1927.

(2) Tres tract pp. 198 - 199.

(3) Shenut. op. cit. p. 65 - 75.

يعتقد فيلوكسينوس بأن شخص المسيح يسوع كان يتمتع بروح وجسد . كان جسده جسداً طبيعياً بشرياً تكوّن من مريم فكان يجوع ويعطش ، ويتألم ويحزن ، ويفرح ويأكل ويشرب كأى إنسان آخر . لأنه كان إنساناً حقيقياً بكل ما تعنى كلمة إنسان من معنى . إن هذا الجسد بروحه العاقلة اتحد بالكلمة ، أو كما يقول فيلوكسينوس هذا الاتحاد تمّ فى هيبوستات الكلمة . وكل ما كان يفعله يسوع كان يفعله عن طريق هيبوستات الكلمة[1] . فإن الكلمة كان يعمل فى يسوع بطريق مباشر . فعن طريق الاتحاد بين عنصر اللاهوت وعنصر الناسوت أصبح الجسد . الناسوت ملكاً (عضواً هيبوستاتيا) للكملة . فإن الناسوت لم يوجد قبل وجود الكلمة[2] .

وهنا نسأل كيف فهم فيلوكسينوس عملية الاتحاد ؟

اقتبس معلم مابوغ العدد الآتى لكى يشرح مفهومه لعملية الاتحاد « والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ... » لقد اعتقد فيلوكسينوس بأن معلمى انطاكيا الذين ينادون بوجود طبيعتين فى المسيح ، استخدموا عبارة أو اصطلاح « سكن » لكى يصفوا به الطريقة التى سكن بها الكلمة فى يسوع : يعنى أن الاتحاد الذى تمّ بين اللوغوس وبين يسوع لم يكن إلا اتحاد محبة وتعاون وإرادة وشركة وتفاهم وليس اتحاداً عضوياً وهذا الاتحاد يشبه إلى حد بعيد الاتحاد بين الله والنبى . فهذا « الاتحاد » أو « السكن » اتحاد الله بالنبى أو سكن الله فى النبى أو القديس أو أى مؤمن عادى هو مثل سكن الروح القدس فى المؤمنين[3] ، يواصل فيلوكسينوس شرحه لعملية الاتحاد حسب مفهوم نسطوريوس وبعض معلمى أنطاكية بما معناه ، هذا صحيح بأن الروح القدس سكن فى الأنبياء ، وفى الرسل ، كان قائداً لهم فى الفكر والتعليم والوعظ والتصرف والسلوك ، ولكن لا يمكن القول بأن الروح القدس صار جسداً عندما كان يتكلم فى إشعياء أو إرميا أو فى يوحنا[4] ، فإن هذا الاتحاد الذى يتكلم عنه معلمو الطبيعتين ما هو إلا اتحاد خارجى ، اتحاد أدبى .

أما الاتحاد الحقيقى العضوى الذى تمّ فى عملية تجسد الكلمة اللوغوس ، فهو اتحاد عضوى ، لا يعرف الفصل ، إذ أنه اتحاد قوى عميق حدث فى اللحظة الأولى من الحبل

---

(1) Sermon: 481.2
(2) Chesnut. 70 - 80.
(3) Chesnut. op. cit. 80 - 85; Letter to the monkes of senoun. p. 25.
(4) Tres. Tract p. 258.

فى بطن القديسة العذراء مريم . لقد اتحد عنصر اللاهوت بالناسوت باتحاد قوى عميق ، وفى الوقت نفسه هذا الاتحاد لا يعنى خلط أو مزج العنصرين مزجاً تاماً لملاشاة أى منهما .

إن مفهوم فيلوكسينوس الكرستولوجى (لشخص الرب يسوع) هو مفهوم ارثوذكسى لا عيب فيه إلا فى بعض التفاصيل . لكن غلطته هى نفس الغلطة التى ارتكبها ويرتكبها الكثيرون حتى الآن وهى أنه اعتقد بأن نسطوريوس وبعض معلمى أنطاكية مثل ديودوريوس الطرسوسى وميثودوريوس المبوسيوستى وآخرين علموا بأن الاتحاد الذى تمّ بين الكلمة ويسوع هو اتحاد خارجى ، مثل اتحاد الروح القدس بالأنبياء والرسل . أى أن هذا الاتحاد تم ما بين الكلمة : ابن الله وابن إنسان أو أن الكلمة حلّ على إنسان ما يدعى يسوع . ولذلك يمكن القول بأنه يوجد ابنان لله ابن الله وابن الإنسان . ويوجد مسيحان وسيدان إلخ ....

إن نسطوريوس وأتباعه لم يعلموا قط بهذا التعليم ، بل إن نسطوريوس حاول التمييز بين الطبيعتين اللاهوت والناسوت بين الكلمة اللوغوس الذى سكن فى يسوع الناصرى منذ اللحظة الأولى من الحبل ، فإن هذا التمييز بين الطبيعتين ظهر لفيلوكسينوس كأنه فصل لا بل ازدواجية غير مرغوب فيها* .

(٢) ســاويــرس

كانت الشخصية الثانية التى طلب منها الإمبراطور انسطاسيوس العمل على نشر التعاليم المونوفيسية فى الإمبراطورية المعلم المونفيسيتى المشهور ساويرس . وقد ولد فى سوزبوليس بسيديا حوالى سنة ٤٦٥[1] أو فى سنة ٤٥٩[2] ونشأ وتربى فى عائلة مسيحية . فإن جده كان أسقفاً لمدينة انطاكيا فى وقت انعقاد مجمع أفسس الأول ، فهو واحد من الأساقفة الذين اجتمعوا فى هذا المجمع وحكموا بحرم وخلع

* للتوسع لدراسة هذا الموضوع بالتفصيل الرجاء دراسة كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ١٦٩ - ٢٠٢ .

(1) The monophxsite christologies, severus of antioch..... roberta C. chesnut. p. 2 - 6; frend op. cit. 200 - 205.

(٢) د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٥٣ .

نسطوربوس[1] وعلى ما يبدو بأنه كان منذ نعومة أظافره محباً للقراءة والدرس والبحث . وساعده كثيراً على ذلك الجو المسيحى المثقف الذى نشأ فيه . وبما أنه كان شغوفاً بالدرس والبحث ، فقد انطلق إلى الإسكندرية سعياً فى أثر العلم مع أخيه الأكبر سناً . فدرس هناك اليونانى واللاتينى ، ثم علم القواعد والخطابة . وبعد ذلك ذهب إلى بيروت لدراسة القانون .

ويعتقد البعض بالرغم من أنه نشأ فى عائلة مسيحية إلا أنه لم يُعمّدْ إلا فى أثناء إقامته فى بيروت[2]* وعندما أنهى دراسته للقانون شعر بدعوة للرهبنة فانطلق إلى دير مايوم (Maium) وانزوى فيه . وكان هذا الدير يُعتَبرُ فى ذلك العصر حصناً من الحصون المنيعة المتمسكة بالتعاليم المونوفيسية والمدافع عنها . فلا غرابة بأن يختار ساويرس هذا الدير المونوفيسيتى للرهبنة فيه . فلقد عُرِفَ منذ شبابه بمقاومته الشديدة والعنيفة لتعاليم نسطوريوس والانطاكيين ، ألم يكن جدّه واحداً من الذين حكموا على نسطوريوس وتعاليمه فى مجمع أفسس الأول ٤٣١ ؟ .

أسس ديراً من ماله الخاص ، فلجأ إليه عدد كبير من الرهبان المونوفيسيتيين . وفى حوالى سنة ٥٠٠ بدأ يسخر علمه وفلسفته ودراسته وبحثه لنشر التعاليم المونوفيسية ومقاومة الخلقدونيين والتعاليم الخاصة بوجود طبيعتين فى شخص المسيح . ويوجد كتابان فى غاية الأهمية يصفان أعمال ونشاط وغيرة ساويرس ، كما أنهما يعرضان أيضا بعضاً من تعاليمه الكرستولوجية . فالأول كتبه صديقه المحامى زكريا سكولاستيكوس (Zacharias Scholasticus) عندما كان ساويرس أسقفاً لأنطاكيا . أما الكتاب الثانى فكتبه يوحنا ابوت[3] .

قام ساويرس بحرب شعواء ضد تعاليم مجمع خلقدونية التى تنادى بوجود طبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح . فلقد هاجم تعاليم نسطوريوس وديودوريوس وايباس ، كما أنه هاجم أيضا تعاليم أوطيخا وأتباعه . كان الرجل من أعظم علماء عصره فى علم

---

(1) Frend. 202 - 205.

(2) R.C. Chesnut. p. 1 - 4.

* يعتقد البعض بأن ساويرس تجدد على يد الرجل العجوز المحترم بطرس أسقف مايوما (Maiuma) أثناء اقامته فى بيروت (Frend. p. 262 - 6) .

(3) Frend. 202 - 210.

العقائد والكتب المقدسة فذاعت سمعته فى كل المنطقة . كما أنه كان نشيطاً غيوراً وصلت غيرته وحماسته لنشر التعاليم المونوفيسية إلى حد التعصب الممقوت . ولقد حاول نشر هذه التعاليم المونوفيسية فى عدد كبير جداً من النبذات والخطابات والرسائل المطولة التى تزيد على ٤٠٠٠ نبذة وخطاب ورسالة[١] التى قام بنشرها وإرسالها إلى عدد كبير من الأساقفة والأبرشيات .

لم يكتف هذا الرجل النشيط بالوعظ والارشاد والمجادلة والكتابة ضد تعاليم خلقدونية فى انطاكيا وضواحيها فقط ، بل دفعته غيرته وحماسته لنشر التعاليم المونوفيسية إلى القيام بعدة رحلات لنشر تعاليمه . ولذلك فقد انطلق مع لفيف من رهبانه (حوالى مائتى راهب) إلى مدينة القسطنطينية مدينة الإمبراطور وقلعة التعاليم الخلقدونية . كان ساويرس يريد أن يحقق عن طريق هذه الرحلة عدة أهداف :

(١) نشر التعاليم المونوفيسية .

(٢) مقابلة الإمبراطور انسطاسيوس المونوفيسيتى والالتماس منه طلب مساعدة للرهبان الفلسطينيين فى فلسطين[٢] .

(٣) محاربة الراهب نيفاليوس الخلقدونى : وعلى ما يعتقد البعض بأن نيفاليوس هذا كان راهباً مونوفيسياً ولكنه تحول إلى الخلقدونية .

ولذلك فقد جاء ساويرس على رأس جماعة من الرهبان حوالى مائتى راهب من أنطاكيا لكى يحاربوا ضد نيفاليوس ورهبانه الذين قبلوا عقيدة وجود طبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح .

وعلى ما يحتمل بأن الإمبراطور تناقش معه وساعده كثيراً فى نشر تعليم الطبيعة الواحدة . ولذلك فقد مكث ساويرس فى القلعة الخلقدونية ثلاث سنوات . قام خلالها بالوعظ والمناقشة والكتابة لتأييد تعاليم الطبيعة الواحدة وتعاليم القديس كيرلس الإسكندرى العظيم . كما أنه حاول أيضا رفض تعاليم مجمع خلقدونية ورسالة ليون التى تتكلم عن الطبيعتين مبيناً بأن تعاليم كيرلس تتكلم عن طبيعة واحدة وليس عن طبيعتين ، كما يدعى ذلك بعض الخلقدونيين[٣] . ولقد هاجم فى عظاته وكتاباته

---

(1) Mircea Eliade p. 65 - 69. (V) R.C. Chsnut. p. 2 - 6.

(2) J. Lebon, le monophysis me séverien, p. 43, G. Bardy. 293, 310.

(3) G. Bardy op. cit. 311.

وخطاباته أثناء هذه الفترة تعاليم نسطوريوس وأوطيخا[1] .

كانت عظات وخطابات وكتابات الراهب ساويرس حماسية ثورية ملتهبة ، فجذبت عدداً كبيراً من الشعب وخاصة أعداء مقدونيوس رئيس أساقفة القسطنطينية الخلقدونى ، ولقد انتهز هؤلاء هذه الفرصة للإيقاع بمقدونيوس وخلعه من منصبه . فحاكوا له المؤامرات الرخيصة وافتروا عليه بعض الافتراءات مما تسبب فى بعض الاضطرابات فى المدينة . لا بل إن رهبان ساويروس كانوا يرنمون الثلاثة تقديسات مضيفين عليها جملة « الذى صلب من أجلنا » فإن القسطنطينية وشعبها لم يقبل هذا التحدى . فهاج الشعب وكاد هذا الهياج يتحول إلى معارك دامية لدرجة أن الإمبراطور نفسه بدأ يعد العدة للهروب . كان الشعب يقف بجانب الأسقف مقدونيوس الخلقدونى ويؤيده . وأما انسطاسيوس الإمبراطور فقد كان ضد رئيس الأساقفة . فبعد أن هدأت العاصفة بدأ الإمبراطور يعمل بطريقة سرية وبيد حديدية على خلع مقدونيوس الخلقدونى ، فبث روح العداوة ضده بين بعض الأكليروس ، كما أنه أمر بغلق أبواب المدينة فى وجه الرهبان المؤيدين له والذين جاءوا من الخارج لمساندته . كما أعد الجيش لإخماد أى مقاومة داخل المدينة أو خارجها ، وبعد الاحتياطات اجتمع مجمع قدمت فيه بعض الافتراءات ضد هذا الرجل المحترم ، وحكم المجمع عليه بخلعه فى ٦ أغسطس سنة ٥١١ فخلع ونفى .

● تنصيب ساويرس رئيس أساقفة على أنطاكية

كان فيلوكسينوس أسقف مابوغ مونوفيسيا متعصباً ، كما أنه كان أيضاً صديقاً شخصياً للإمبراطور المونوفيستى انسطاسيوس . ولذلك فقد حاول أكثر من مرة أن يستغل هذه الصداقة فى دفع الإمبراطور لتعيين ساويرس رئيساً لأساقفة أنطاكية . فعندما خُلِعَ فيلافيانوس من كرسى أنطاكية ونُفِى إلى بترا ، أوحى الإمبراطور انسطاسيوس إلى قادة كنيسة أنطاكية اسم ساويرس لأنه كان يعرف جيداً بأنه مونوفيستى متحمس ، وضد مجمع خلقدونية مثل الإمبراطور . فتمّ فعلاً اختيار ساويرس وتنصيبه رئيساً

(1) Zacharie, vita séveri, edit, kugener p. 104; j. lebon, le mono physime sévèrien p. 123 - 130.

لأساقفة مدينة أنطاكية فى ٦ نوفمبر ٥١٢[١] .

ولقد ألقى ساويرس فى هذه المناسبة خطاباً يعتبر إقراراً لإيمانه (أو ما يؤمن به) فهو يعترف فى هذا الخطاب بصحة مجمع نيقية والقسطنطينية وأفسس ، كما أنه يقبل رسالة زينون (الاينوتيكون) . على أنه رفض نسطوريوس وتعاليمه وأوطيخا وتعاليمه ، كما أنه رفض أيضا علانية وبدون تحفظ ، مجمع خلقدونية ورسالة القديس ليون التى تؤيد نظرية وجود طبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح[٢] .

كان الحزبان الخلقدونى والمونوفيسيتى فى غاية القوة ، إذ أن كل منهما ضم رجالاً ذوى شهرة واسعة ونفوذ فعال . فكان على ساويرس رئيس الأساقفة الجديد أن يثبت سلطانه ، وأن يعمل ما فى وسعه لكسب ثقة هذين الحزبين ورضى وثقة الشعب والرهبان والاكليروس ، الأمر الذى لم يكن سهلاً فى تلك المدينة . ولذلك فقد دعا لعقد مجمع فى بداية سنة ٥١٣ فى أنطاكية . وعلى ما يبدو فإن ساويرس حصل فى هذا المجمع على نجاح لا يستهان به . إذ أن المجمع قبل اقتراحات البطريرك ساويرس ورفض رسالة ليون كما رفض قرارات مجمع خلقدونية[٣] .

كان ساويرس سعيداً وفخوراً بهذا النجاح الذى حصل عليه فى مجمع أنطاكية . ولذلك فقد بدأ ينادى عالياً بأن الأغلبية الساحقة من الأساقفة تؤيده وتقبل تعاليمه المونوفيسية .[٤] على أن معارضيه وكانوا حزباً قوياً ذا نفوذ فعال من الخلقدونيين الذين قبلوا عقيدة الطبيعتين ، لم يقبلوا هذا الادعاء .

ولحل هذه المشكلة وبعض المشاكل الأخرى ، عقد مجمع آخر فى سنة ٥١٤ فى صور . وكان على رأس هذا المجمع رئيس الأساقفة ساويرس وبجانبه صديقه القديم الحميم الذى لا يعرف التعب أو الملل فى نشر المونوفيسية ، وولى نعمته فيلوكسينوس أسقف مابوغ .. كما جاء لحضور هذا المجمع عدد كبير من الأساقفة . وبعد أن بدأ المجمع أعماله

---

(1) Mircea eliaje (encyclopedia) p. 66 - 68; Moeller op. cit. p. 424 - 426; Frend op. cit. p. 220 - 225; Robeta. C. Chesnut. 1 - 6; G. Bardy. 314; Zacharie, vita severi, 110; Devresse, R., Patriarcat, 69, N. 6; د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٥٧ .

(2) G. Bardy op. cit 314; Patr.. orien. 2, 329; د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(3) J. Lebon, le mono physisme sévèrin p. 56 - 60; G. Bardy. 314.

(4) Deresse, R., Patriarcat, 70 - No. 3.

أيد القرارات التى اتخذت فى أنطاكية السنة السابقة أى رفض قرارات مجمع خلقدونية وعقيدة وجود طبيعتين فى المسيح . كما أن هذا المجمع (تحت تأثير ساويرس) قدم تفسيراً لرسالة الوحدة (الهينوتيكون) يخالف تماماً تعاليم خلقدونية . وهنا انقسم المجمع ، فإن عدداً كبيراً من أساقفة أشور رفضوا هذا التفسير واحتجوا بشدة على رئيس الأساقفة . كما أن أساقفة صور وبصرة ودمشق ذهبوا أبعد من ذلك فقطعوه من الشركة . كما أن بعض الأساقفة أعلنوا خلعه وأرسلوا له مكتوباً بذلك[١] . وهنا لجأ ساويرس إلى استعمال القوة ، فأمر بخلع الأساقفة المعارضين من كراسيهم ، فحدثت مذبحة مريعة راح ضحيتها عدد كبير من الرهبان[٢] وهذا الأمر وسّع الفجوة بين الحزبين المؤيدين والمعارضين لساويرس . ونتج عن ذلك روح تذمر وعدم رضى عن ساويرس وتعاليمه ليس فقط فى أنطاكية وضواحيها ، بل امتدت هذه الروح إلى بلاد أخرى . فإن إيليا أسقف أورشليم رفض رفضاً باتاً أسقفية ساويرس الأنطاكى وتعاليمه المونوفيسية واعتبره مقطوعاً من الشركة لهجومه على تعاليم مجمع خلقدونية ، ولم يعجب موقف إيليا الخلقدونى ضد ساويرس ، الإمبراطور المونوفيسيتى ، فعمل حالاً على خلعه من كرسى أورشليم . وتمّ فعلاً خلعه وإبعاده عن الكرسى فى سنة ٥١٦ . ولقد وقع اختيار اوليمبيوس مرسل الإمبراطور على يوحنا . وطلب اوليمبيوس من يوحنا قبل تنصيبه رفض رسالة ليون التى تعلم بوجود طبيعتين فى المسيح ، وأن يرفض أيضا قرارات مجمع خلقدونية ، فقبل ذلك . وعندما جاء يوم التنصيب أعلن يوحنا حرمه لنسطوريوس وأتباعه وتعاليمه ، وحرم أوطيخا وتعاليمه ، ولكن كانت الصدمة القوية العنيفة والعميقة وغير المنتظرة والتى وقعت على اوليمبيوس الممثل الإمبراطورى كالصاعقة ، هى أن يوحنا حرم ساويرس الأنطاكى المونوفيسيتى الذى كان يؤيده الإمبراطور ، كما أنه أعلن أيضا قبوله لقرارات المجامع المسكونية الأربعة .

كان الإمبراطور انسطاسيوس المونوفيستى يتعاون مع جماعة المونوفيسيين ويساعدهم كثيراً . كما قام بحملة اضطهاد ضد الخلقدونيين وتضييق الخناق عليهم . ولكن كلما كان الإمبراطور يزيد فى اضطهاده لجماعة الخلقدونيين كان الخلقدونيون يتمسكون بتعاليم المجمع الرابع وقراراته الخاصة بوجود طبيعتين فى المسيح . فحتى فى الحاشية الملكية نفسها

(1) Evagrius, hist. eccl, 3, 34; G. Bardy. 315.
(2) Mansi, v, 1038 - 1107.

وفى عائلة الإمبراطور[1] ازداد جداً عدد الذين قبلوا عقيدة وجود طبيعتين فى المسيح ورفضوا المونوفيسية التى كان ينادى بها ساويرس الأنطاكى . وبالرغم من هذا يمكن القول بأن فترة ملك الإمبراطور انسطاسيوس كانت فرصة ذهبية لا تعوض بالنسبة لجماعة المونوفيسيين . فعندما مات الإمبراطور انسطاسيوس فى ٩ يوليو سنة ٥١٨ وجلس على عرش القسطنطينية الإمبراطور جاستين Justin الخلقدونى (٥١٨ - ٥٢٧) ، بدأ اضطهاداته العنيفة ضد جماعة المونوفيسيين ، فاضطر ساويرس رئيس أساقفة أنطاكية وكذلك الأسقف فيلوكسينوس المدافعان والناشران المتحمسان للتعاليم المونوفيسية إلى الهروب إلى الإسكندرية[2] . ولقد مكث رئيس أساقفة أنطاكية فى الإسكندرية حوالى عشرة سنوات قام خلالها بنشاط واسع ومكثف فى مصر بين المونوفيسيين والخلقدونيين . ومن هذه المدينة (الإسكندرية) كان يواصل نشاطه بحماس وغيرة فى إرسال الخطابات والرسائل والنبذ العقائدية إلى رعاياه فى أنطاكية لتثبيتهم فى العقيدة وتشجيعهم فى الظروف الصعبة التى كانوا يمرون فيها[3] بسبب الاضطهاد الذى شنه الإمبراطور جاستن على جماعة المونوفيسيين .

يظهر ساويرس فى مدينة القسطنطينية معقل الخلقدونية فى سنة ٥٣١ - ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، معقل الخلقدونية ، وذلك بفضل الإمبراطورة ثيودورا المونوفيسية[4] والموافقة الغيورة المتحمسة على تعاليم الطبيعة الواحدة . فلقد دعته للإقامة فى القسطنطينية بعضاً من الوقت وتولت حمايته ورعايته . ففى هذه الفترة أيضا حاول الإمبراطور جاستنيانوس عمل مصالحة بين الحزبين فقام بتدبير حوار بين جماعة الخلقدونيين والمونوفيسيين ولكنه لم يصل إلى نتائج فعلية عملية كثيرة .

رجع ساويرس من القسطنطينية إلى مصر فى سنة ٥٣٦ وبقى فيها حتى مات فى سنة ٥٣٨ أو فى سنة ٥٤٢ . ويعتبر ساويرس من العلماء المعلمين البارزين فى حركة المونوفيسية ، كما أنه يعتبر أيضا واحداً من الكتّاب الموهوبين . فقد ساهم بكتاباته ومؤلفاته فى تقديم تعاليم وعقائد مونوفيسية يرجع إليها الكثيرون . فبفضل نشاطه وكتاباته

---

(1) G. Bardy. op. cit. 316.
(2) Chesnut. op. cit. 2 - 6; J. Danielou.. 401 - 410; Green op. cit. P. 300 - 305; Gray. op. cit. P. 45 - 50. Frend. op. cit. P. 265 - 275.
(3) ....
(4) Chesnut op. cit. p. 1 - 6; Danielou..... 400 - 410. Frend. P. 269 - 271.

انتشرت عقيدة الطبيعة الواحدة . وقد كتب ساويرس باللغة اليونانية والسريانية . وبعد أن رأينا هذه اللمحة التاريخية عن هذا الرجل وحياته ونشاطه فلنحاول الآن دراسة بعضاً من تعاليمه الكرستولوجية .

ما هو مفهوم ساويرس لشخص الرب يسوع المسيح ؟ هل يؤمن بوجود طبيعة واحدة أو طبيعتين فى المسيح ؟ وما هو مفهومه لكلمة طبيعة واحدة ؟ ما هو الفرق بين تعاليمه وتعاليم كيرلس ؟ هل هو كيرلسى او نسطورى أو أنه خرج بتعليم جديد لا هو نسطورى أو كيرلسى ؟ هل هو هرطوق فى تعاليمه أو أرثوذكسى ؟

سوف نحاول الإجابة على البعض من هذه الأسئلة وعلى أسئلة أخرى فى الصفحات التالية .

وقبل أن نحاول الإجابة على بعض الأسئلة التى طرحناها أعلاه يجب أن نسأل هذا السؤال ما هى المونوفيسية ، أو من هو المونوفيستى ؟ .

يوجد نوعان من المونوفيسية :

١ - المونوفيسية الأوطيخية أو المتطرفة

وقد بدأها أوطيخا رئيس أحد الأديرة فى القسطنطينية . ولقد اجتمع مجمع فى القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ تحت رئاسة فلافيانوس رئيس أساقفة المدينة وحكم بهرطقة هذا التعليم وحرم أوطيخا . على أن هذا الأخير كان يتمتع بسلطان عظيم وبنفوذ فعال لدى الإمبراطور والحاشية الملكية ، ولذلك فقد استأنف حكم المجمع وطالب بعقد مجمع آخر للنظر فى قضيته . فانعقد مجمع آخر فى مدينة أفسس فى سنة ٤٤٩ وكان معظم الذين اجتمعوا فى هذا المجمع من مؤيدى هذا الراهب . وعلى ما يحتمل بأن الذين ترأسوا المجمع استعملوا الضغط والقسوة ضد منافس أوطيخا . فحكم هذا المجمع بأرثوذكسية تعاليم رئيس الرهبان أوطيخا وارجاعه إلى منصبه . ودعى هذا المجمع بمجمع اللصوص . لم تقبل معظم الكنائس وخاصة الكنائس الغربية قرارات هذا المجمع والظلم الذى حدث فيه . فاجتمع مجمع خلقدونية فى سنة ٤٥١ وحكم بهرطقة أوطيخا وخلعه من منصبه .

فما هى تعاليم أوطيخا أو المونوفيسية المتطرفة ؟

لا يعتبر أوطيخا عالماً أو حتى نصف عالم ، فإن تعاليمه غير واضحة وفى كثير من الأوقات متناقضة . كان كيرلس الإسكندرى العظيم بالنسبة له هو المثال الأعلى

فى أرثوذكسية التعليم . وبناء على ذلك فقد بنى تعاليمه ومفهومه الكرستولوجى على الجملة التى تمسك بها خطأ القديس كيرلس والتى هى من أعمال ابولوناريوس الهرطوقى وهى « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » ولذلك فإن أوطيخا علّم بأنه لا توجد إلا طبيعة واحدة فى المسيح . فإن الكلمة اللوغوس الذى حل على الناسوت « جسد » المسيح كان (الكلمة) هو المسيطر والقائد والمحرك والعامل فى هذا الناسوت . لدرجة أن الناسوت أصبح بالنسبة للاهوت كآلة بلا إرادة وبلا حركة فى يد الذى يستخدمها ، فهو يعتبر أن الناسوت مثل نقطة خمر أو خل فى محيط مياه ضخم . إن الناسوت اندمج باللاهوت لدرجة أنه لا يمكن فصل الواحد عن الآخر . لا يمكن أن نميز نقطة الخل فى المحيط الواسع . إنه اندماج وخلط كلى بين الاثنين[1] . إن الناسوت لم يتلاشى ولكن أصبح بدون مفعول أو إرادة .

ولقد تطرف أوطيخا فى التعليم لدرجة أنه اعتقد بوجود طبيعتين فى الكلمة قبل التجسد ولكن بعد التجسد لا توجد إلا طبيعة واحدة . عقيدة لا أساس لها لا من الناحية المنطقية أو من الناحية العقائدية .

أما أتباعه الذين جاءوا بعده وحاولوا مواصلة نشر تعاليمه الهرطوقية فقد تطرف بعضهم أكثر منه . فقد علّموا أيضا بأن جسد المسيح لم يكن إلا خيالاً – فهو جسد سماوى : جاء من السماء مباشرة ، فمع أن أوطيخا نفسه علّم فى بعض الأحيان بأن جسد المسيح كان مثل أجسادنا إلا أن البعض من تلاميذه علم بأن جسده لم يكن جسداً بشرياً[2] ، ولقد علّم أوطيخا وكذلك تلاميذه أيضا بأن الذى تألم وصلب ومات على الصليب بطريقة فعلية عملية ليس الناسوت فقط ، بل اللاهوت أيضا والأوطيخية الحقيقية المتطرفة لا تعلم بفكرة أن اللاهوت تألم بسبب اتحاده بالناسوت ، بل إن اللاهوت الذى لا يعرف الآلام ولا الموت ، تألم فعلاً ومات فعلاً . لأن الاتحاد بين العنصرين الكلمة والناسوت كان خلطاً واندماجاً للعنصرين : طبيعة واحدة ، فلا يمكن التمييز بين العنصر الإلهى أو العنصر البشرى فى هذه الطبيعة الواحدة أن الكلمة ، اللوغوس صار العامل والمسيطر على الناسوت الذى اندمج فيه جزئياً وكلياً .

(1) Dict., Théo., Cat, Monophysisme P. 2219; Tixeront 3, P. 110 - 116.

(2) Tixeront 3. 110 - 118; Pseudo - Zacharie Le Rheteur Et Séver d'Antioche. Ap. Lebon. P. 495 - 500; P. 160.

هذه هى التعاليم التى نادى بها ابولوناريوس وأتباعه وكذلك أوطيخا الذى ادّعى بأنه يتبع تعاليم القديس كيرلس* .

فمع أن الذى حكم بأرثوذكسية تعاليم أوطيخا هو المجمع الذى كان يرأسه ديوسقوروس الإسكندرى ، وبفضل تأثيره ؛ فإن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ترفض حالياً أوطيخا وتعاليمه .

٢ - المونوفيسية المعتدلة

رفض الكثيرون من اللاخلقدونيين المونوفيسية المتطرّفة - التى علّم بها كل من ابولوناريوس وأوطيخا وآخرون والتى تنادى بدمج وخلط الناسوت باللاهوت دمجاً كلياً وخلطاً شاملاً كاملاً بدون تمييز بين العنصرين البشرى والإلهى . فمع أن المونوفيسيين المعتدلين يشددون على فكرة عدم فصل العناصر الواحد عن الآخر وعلى الوحدة الحقيقية القوية العميقة التى تربط هذين العنصرين ، لكنهم لم يخلطوا أو يدمجوا بطريقة عامة شاملة هذين العنصرين . صحيح أنه توجد فى بعض كتابات بعض الكتّاب المونوفيسيين المعتدلين جمل وعبارات قد يُفهم أنها تشير إلى خلط أو دمج الطبيعتين . ولكن حاول المونوفيسيون المعتدلون بشكل عام تجنب هذا الخطأ . وهذا واضح كل الوضوح فى تعاليم بعض قادتهم أمثال القديس العظيم كيرلس ، وتيموثاوس القط وفيلوكسينوس وساويرس الذى ندرس الآن تعاليمه الكرستولوجية .

١ - المونوفيسية وحبل القديسة مريم من الروح القدس

إن الذى يريد أن يدرس مفهوم معلم أنطاكية عن شخص الرب يسوع المسيح ، يجد حوالى ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) خطاباً ووثيقة ونبذة كتبها وأرسلها إلى بعض الكنائس وإلى أصدقائه وأتباعه . ومعظم هذه الوثائق تشرح تعاليمه الكرستولوجية ومن ضمن المواضيع الكرستولوجية : « الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح » التى يحاول شرحها عقيدة حبل القديسة مريم العذراء بالروح القدس . ولقد كتب بصدد

* للتوسع فى دراسة موضوع أوطيخا ، حياته وتعاليمه الخاصة بالطبيعة الواحدة فى المسيح ، الرجاء دراسة كتابنا تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الثالث . الفصول الخاصة بهذا الموضوع .

هذا الموضوع يقول : « إن الله الكلمة جبل لنفسه من والدة الإله الدائمة البتولية مريم ، ومن الروح القدس جسداً كأجسادنا تحركه (الجسد) روح عاقلة زكية ، لأن العذراء التى منها كوّن الروح القدس هذا الجسد المقدس ، مثلنا ... ولذلك فنحن نعترف بأنه شبيه بالآب حسب جوهر اللاهوت وشبيه بنا بحسب الناسوت فى صيرورته إنساناً » .(١)

وفى مكان آخر كتب ساويرس يقول ما معناه إن جسد المسيح هو جسد حقيقى ، كامل العقل والعواطف والإرادة والتصرفات والأخلاق .. والأفعال والأعمال البشرية ... فربنا يسوع المسيح كان يتمتع بمعرفة واحدة **منذ لحظة الحبل فى الرحم** . كانت معرفة يسوع هى معرفة اللوغوس الإله ، كان يعرف كل شىء ...

من هذين الاقتباسين السابقين ومن نصوص كثيرة أخرى فى كتابات ساويرس يتضح جلياً ، بأن معلم أنطاكية كان من الذين تمسكوا ونادوا بتعاليم القديس العظيم الإسكندرى كيرلس . إن ساويرس يعلم بأن الله الكلمة اللوغوس هيأ لنفسه جسداً من مريم العذراء . فإن الروح القدس حلّ عليها وعن طريق هذا الحلول المقدس الذى تمّ بين العذراء وبين الروح القدس ، تمّت عملية الحبل أو الاتحاد ، اتحاد اللاهوت الكلمة : اللوغوس والجنين الذى سوف يصير فيما بعد يسوع الناصرى . ويحاول معلم أنطاكية أن يُبعد الابولوناريوسية عندما يقول « ... ومن الروح القدس جسداً كأجسادنا **تحركه روح** عاقلة زكية .... » فإن الابولوناريوسية نادت بأن اللوغوس حلّ محل الروح فى الجسد . فجسد المسيح كان جسداً خالياً ومجرداً من روح بشرية . وأما ساويرس فهو يعلم بوجود روح بشرية فى المسيح . كما أنه يؤكد أيضا – ضد الابولوناريوسية والأوطيخية – بأن الجسد الذى اتخذه الكلمة لنفسه فى بطن القديسة العذراء مريم هو جسد حقيقى كأجسادنا فهو جسد كامل التكوين فى العواطف والأفعال والأعمال ... كان الكلمة إنساناً كامل التكوين من اللحظة الأولى من الحبل به فى الرحم ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

فهو يقول فى رسالته التى كتبها إلى نسطوريوس لكى يشرح له هذه العقيدة : « إن

(1) Sévère, D'Antioche. Orationes ad. Nephoclium 1, Csco 119 - 120 Syr, 64 - 65 ed. J. Lebon, Louvain 1949; F-x. Murphy... p. 49; The Encyclo.. of Reli Eliade. Vol. 10. P. 66 - 68. 26 Bose. op. cit. P. 280 - 282.

المجمع الكبير المقدس (يقصد مجمع نيقية) يقول إن ابن الله الوحيد المولود حسب طبيعة الله الآب ... نزل وتجسد وتأنس ... إن (الكلمة) قد ضم إلى ذاته جسداً فيه نفس عاقلة وصار بطريقة لا يمكن الافصاح عنها أو إدراكها إنساناً ... ولذلك فالذى وجد مولوداً من الأب قبل كل الدهور قيل عنه وُلِدَ حسب الجسد من امرأة دون أن تعنى هذه الولادة أن طبيعته الإلهية قد أخذت بداءة وجودها من العذراء القديسة ... إن الاتحاد أو الحلول حدث وهو **فى الرحم** » ، وفى رسالة أخرى يقدم معلم الإسكندرية لنسطوريوس شرحاً لقانون إيمان نيقية فيقول : « .... الذى نزل لأجل خلاصنا جاعلاً نفسه بلا شهرة وقد تجسد وتأنس ، أعنى أنه اتخذ جسداً من العذراء القديسة جاعلاً إياه جسده من البطن معرضاً نفسه للولادة لأجلنا وولد إنساناً من امرأة دون أن ينزع عنه طبيعته التى كانت له ... لأنه شوهد طفلاً ملفوفاً فى أقمطة . ولما كان فى بطن العذراء أمه كان مالىء الخليقة كلها إلهاً وسيداً .... » .

إن القديس كيرلس كتب تكراراً ومراراً وبدون ملل منبراً بشدة على حقيقة أن الوحدة بين اللاهوت والناسوت تمت فى اللحظات الأولى عند الحبل . فإن الروح القدس هو الذى حلّ على القديسة العذراء ، وبهذا الحلول المقدس تمت عملية الاتحاد على أنه يشير أيضا إلى حقيقة فى غاية الأهمية وهى أن الكلمة أو اللوغوس ، أو اللاهوت لم يستمد أصله وبدايته ووجوده من العذراء . صحيح بأنها والدة هذا الجسد وموجودة قبل تكوين هذا الجسد البشرى = الناسوت ، ولكن اللاهوت اللوغوس كان منذ البدء . « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١)[١] .

وهذا هو نفس التعليم الذى نادى به أيضا ساويرس لأنه كان كيرلسياً فى تعليمه .

لقد اتهم البعض نسطوريوس خطأً بأنه علّم بأن عملية الاتحاد بين الله والإنسان يسوع لم تتم إلا بطريقة خارجية سطحية أدبية وفى سن متأخر من حياة الإنسان يسوع . وحقيقة الأمر غير ذلك ، فإن نسطوريوس يعتقد بأن الوحدة التى تمّت بين اللاهوت والناسوت قد حدثت فى البداية أى فى اللحظة الأولى التى تكوّن فيها الجنين فى بطن القديسة العذراء مريم ، وعندما ولد هذا الطفل الذى كان فيه الكلمة ، كان

---

(١) مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة . جمع وترجمة وتنسيق الارشمندرست حنانيا الياس كساب ص ٢٩ ، ٣٠ .

يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢ : ٥٢) ففى هذا الإنسان أى يسوع الناصرى سكن كلمة الله ، اللوغوس وهذا الإنسان الله يدعى المسيح . لأن كلمة المسيح تشير إلى طبيعتين متحدتين معاً .(١)

وهنا نرى أن كيرلس وساويرس ونسطوريوس يتفقون تماماً معاً على فكرة أن اللوغوس حل فى بطن العذراء مريم من البداية بقوة الروح القدس . وكم نتمنى لو حاول بعض الذين يدرسون تاريخ الفكر المسيحى مراجعة التعاليم الموروثة ودراستها دراسة عالية دقيقة للتعرف على الغث والثمين منها ، الهرطوق والأرثوذكسى . وعندئذ نستطيع أن نبدأ حواراً علمياً مسكونياً دقيقاً وصحيحاً * .

٢ - عملية الاتحاد فى مفهوم ساويرس المونوفيسيتى

لقد سبق أن رأينا فى الصفحات السابقة مفهوم معلم أنطاكية لعقيدة الحبل من الروح القدس ومن مريم العذراء ، ففى رحم القديسة تكوّن الجنين ومنها وُلِدَ الطفل الذى يدعى الله الإنسان Dieu - Homme وهنا نتعرض لمشكلة أخرى وهى عملية الاتحاد : عملية اتحاد اللاهوت الكلمة الأبدى الذى كان منذ البدأية ، بالجنين فى بطن العذراء . كيف تمّت هذه العملية الفريدة ؟ وما هو مفهوم ساويرس لعملية اتحاد اللاهوت بالناسوت ؟ هل يعلِّم بوجود طبيعة واحدة أو طبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح ؟ .

وقبل أن نتعرض لدرس وتحليل تعاليمه الكرستولوجية المونوفيستية المعتدلة ، يجب أن نلقى نظرة ولو سريعة جداً على مفهومه لبعض الاصطلاحات التى استعملها فى شرحه تعاليمه الخاصة بشخص الرب يسوع .

تقدم لنا روبرتا ث . شانوت Roberta C. Chesnut فى الكتاب المعنون بعنوان « ثلاثة تعاليم كرستولوجية مونوفيستية » تحليلاً مطولاً عن الاصطلاحات التى استعملها ساويرس فى تعاليمه .

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى - تاريخ الفكر المسيحى ، الجزء الثانى ص ١٩٣ .

* للتوسع فى دراسة هذا الموضوع الرجاء الرجوع إلى : د . حنا جرجس الخضرى - تاريخ الفكر - الجزء الثانى بعض الفصول الخاصة بهذا الموضوع . كذلك الجزء الثالث لنفس المؤلف . والمراجع المذكورة فيهما .

يعتقد ساويرس بأن كلمة طبيعة Natura فى اللاتينية وفى اليونانية Qúois (فوسيس) مرادفة لكلمة هوبوستاسيس اليونانية يعنى جوهر أو طبيعة كيان . أما كلمة بروسوبون Prosopon اليونانية فعلى ما يحتمل أن ساويرس استعملها لكى يعبر بها عن الأقنوم الواحد فى الثالوث . ولقد سبق أن تعرضنا فى المجلد الثانى من تاريخ الفكر المسيحى ص ١٦٩ – ١٨٤ وفى المجلد الثالث ٧٥ – ٨٠ ؟ لهذه المشكلة* ولقد فهمنا سوء التفاهم الذى نتج وما زال مسيطراً حتى الآن على تعاليمنا الكرستولوجية بسبب عدم تحديد معانى هذه الاصطلاحات . فمثلاً عندما كان واحد من علماء مدرسة الإسكندرية يتكلم عن شخص مستقل فى تكوينه وكيانه كان يستعمل واحدة من الكلمات الآتية : طبيعة أو هوبوستاسيس يعنى كيان أو جوهر . ومن الملاحظ بأن القديس كيرلس الإسكندرى استعمل نفس الأسلوب . فعندما كان كيرلس يستخدم كلمة فوسيس (طبيعة) أو كلمة هوبوستاسيس جوهر أو كيان ؛ كان يقصد أن يعبر بهذه الاصطلاحات عن الكلمة المتجسد كله . وعندما كان الأنطاكيون أو نسطوريوس يستخدمون كلمة طبيعة (فوسيوس) أو هوبوستاسيس كانوا يقصدون من ذلك التعبير عن عقيدتهم فى الطبيعة الواحدة الإلهية أو البشرية . أما عندما كانوا يريدون شرح عملية الاتحاد التى تمت فى الطبيعتين كانوا يستعملون الاصطلاح بروسوبون الذى يعنى أقنوم . ولقد نتج عن عدم تحديد معانى الاصطلاحات المستخدمة سوء تفاهم عقائدى ضخم بين كيرلس ونسطوريوس ، وبين مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية : بين ساويرس وبين مجمع خلقدونية ، فعندما كان نسطوريوس يتكلم عن وجود طبيعتين أو جوهرين فى المسيح الواحد ، مستعملاً اصطلاح طبيعة (فوسيوس) أو هوبوستاسيس (كيان) : كان كيرلس يعتقد بأن نسطوريوس يعلم بوجود أقنومين أو شخصين فى المسيح الواحد . والعكس أيضا صحيح فعندما كان كيرلس يتكلم عن الاتحاد المطلق القوى ، ويستعمل الاصطلاح هوبوستاسيس أو فوسيوس ليعبر عن المسيح الواحد ، كان نسطوريوس والأنطاكيون يعتقدون بأن كيرلس قد خلط أو دمج الطبيعتين اللاهوت

* على من يريد التوسع فى دراسة موضوع هذه الاصطلاحات فى مفهوم كيرلس ونسطوريوس وساويروس وفيلوكسينوس الرجاء دراسة تاريخ الفكر المسيحى ، د . حنا جرجس الخضرى ، الجزء الثانى والثالث : الفصول الخاصة بهذه الاصطلاحات كذلك المراجع المذكورة فيهما .

والناسوت في طبيعة واحدة . إن سوء التفاهم هذا نتج بين المدرستين لأن الاصطلاحات* العقائدية لم تكن محددة ومعروفة بطريقة واضحة متفق عليها . ومن هنا اتسعت فجوة الخلاف العقائدى بين المدرستين وبين الكنيستين نتج الانقسام المؤلم المريع بين الكنائس المونوفيستية والكنائس الخلقدونية فيما بعد .

كان كيرلس يعتقد بأن الاصطلاح هوبوستاسيس يشير إلى شخص كامل الكيان . ويضرب لنا المثل باتحاد الروح والجسد اللذين يتكوّن منهما الإنسان[1] . إن ساويرس يشرح لنا بأن جسد بطرس مثلاً ليس هوبوستاسيس قد وجد بذاته . فإن جسده (بطرس) موجود بسبب ارتباطه مع روح بطرس . فإن الجسد لم يوجد من ذاته وبذاته مستقلاً عن روح بطرس ، بل إن الاثنين وجدا معًا الروح والجسد[2] وكونا الكائن الواحد الذى يدعى الإنسان .

ويعتقد معلم انطاكية بأن الاصطلاح « بروزوبون » هو المرادف لاصطلاح هوبوستاسيس يعنى الوجود الذاتى . فإن البروزوبون يعنى أو يقصد به وجود ملموس محسوس ويحمل أسماء مختلفة مثل يعقوب ويوحنا وبطرس ولوقا أو المسيح إلخ ... فإن كلمة بروزوبون تشير إلى الشخص وليس إلى الجنس . فإن يعقوب يختلف عن يوحنا فى الحياة والتاريخ والعلم والطباع والثقافة ... ولكن الاثنين يشتركان فى البشرية الواحدة .

إن مفهوم ساويرس لهذه الاصطلاحات يتفق كثيراً مع مفهوم القديس كيرلس . فإن القديس كيرلس اعتبر بأن هذه الاصطلاحات كلها تقريباً مرادفات . وأما نسطوريوس فقد اعتبر عن حق بأن اصطلاح بروزوبون يختلف عن كلمة فوسيوس طبيعة أو هوبوستاسيس = جوهر . لأن نسطوريوس كان يعتقد بأن المسيح مكون من جوهرين مختلفين من طبيعتين مختلفتين من هوبوستاسين مختلفين ، اللاهوت والناسوت وكل عنصر من هذين العنصرين المختلفين تماماً يدعى فوسيوس طبيعة أو هوبوستاسيس =

---

* بعض المراجع المهمة لدراسة مفهوم كيرلس ونسطوريوس لبعض الاصطلاحات الفنية :

M. Jugie la Terminologie de St., Cyrl, Eo 15 (1912) 12 - 24. Ouasten. 3.206; Camelot 38 - 39; Grillmeier 439 - 447.

(1) Sermont No. 67. (p.o. 8. 359) Contra Grammat 2, 4 (Csco, Vol. 3) p. 76 - 80.

(2) Rob. C. Chesnut. op. cit. p. 9 - 12.

جوهر . وعندما اتحد هذان العنصران اللاهوت والناسوت خرج المسيح الواحد لاهوتاً وناسوتاً معاً . إن نسطوريوس يعلم بأن كل طبيعة = فوسيوس من هاتين الطبيعتين ما هى إلا جزء من المسيح . فالمسيح الواحد لا يدعى مسيحاً إلا بعد عملية اتحاد هاتين الطبيعتين معاً (اللاهوت والناسوت) . أما كيرلس فقد اعتبر بأن الاصطلاح برزوبون يعنى شخصاً أو أقنوماً : فهو يساوى تقريباً فى عرفه الاصطلاح هوبوستاسيس الذى اعتبره نسطوريوس جزءاً من المسيح وليس المسيح كله . فإن هوبوستاسيس فى عرف كيرلس تعنى الإنسان كله روحاً وجسداً . كما أنها تعنى أيضا المسيح كله لاهوتاً وناسوتاً متحدين معاً . أما فى عرف نسطوريوس أن كلمة هوبوستاسيس لا تعنى أو لا تشير إلا إلى جزء واحد من المسيح أو إلى طبيعة أو جوهر واحد من الجوهرين .

من هنا نتج — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — سوء التفاهم العقائدى اللغوى . فعندما كان يستعمل نسطوريوس الاصطلاح هوبوستاسين : وجود هوبوستاسين أو جوهرين أو فوستوسين = طبيعتين فى المسيح كان كيرلس يعتقد بأن نسطوريوس يتكلم عن مسيحين اثنين وليس عن مسيح واحد . وعندما كان كيرلس يتكلم عن هوبوستاسيس واحد فى المسيح كان نسطوريوس يعتقد بأن كيرلس خلط ودمج الطبيعتين اللاهوت والناسوت معاً . فقد كان كيرلس يؤمن ويعلم بوجود العنصرين ، اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد ، وكان نسطوريوس يؤمن أيضا بوحدة المسيح الواحد المكوّن من طبيعتين مختلفتين اللاهوت والناسوت .

لقد تأثر ساويرس كثيراً بتعاليم كيرلس على أنه يعترف بطريقة واضحة وصريحة مثل كيرلس أيضا بوجود العنصرين اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد الوحيد .

فمع أن ساويرس يعتقد بأن الاصطلاح بروزبون يساوى تقريباً فى المعنى الاصطلاح هوبوستاسيس لكنه يرى اختلافاً . فإنه يعتقد بأن الاتحاد البروبوزونى (الشخصى أو الأقنومى) هو الاتحاد الذى يتم بين جوهرين قد اتحدا معاً بطريقة ما . مثلا عندما يتحد بولس وبطرس عن طريق رباط الرسولية . فى هذا الاتحاد نرى شخصين مختلفين قد اتحدا معاً ولكن يظل كل منهما متميزاً عن الآخر ، فإن بولس يختلف عن بطرس ، وكل واحد منهما لا يحتفظ باسمه فقط ، بل يحتفظ أيضاً بصفاته .

فمع أن ساويرس يستعمل (بطريقة نادرة جداً) الاصطلاح بروزوبون كمرادف لهوبوستاسيس ، لكنه يستعمل كثيراً كلمة هوبوستاسيس عندما يتحدث عن الوحدة

التى تمت بين العنصرين لأنه يعتقد بأن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح لا يعتبر اتحاداً بروزوبونيا أى اتحاد شخصين ، بل اتحاداً هوبوستاتيكيا طبيعياً ، فربما كان يخشى فى استعماله كلمة بروزوبون أن بعض المعلمين قد يرون بأنه يعلم بوجود بروزوبونين أقنومين فى المسيح الواحد ، ولذلك فهو يفضل كلمة هوبوستاسيس للتعبير عن الوحدة فى المسيح الواحد .

مثل الروح والجسد

يرجع ساويرس إلى مثل الروح والجسد لكى يثبت تعاليمه الكرستولوجية . ولقد استخدم معظم الآباء فى كتاباتهم ومناقشاتهم الكرستولوجية هذا المثل لكى يوضحوا به الوحدة القوية العميقة بين اللاهوت والناسوت التى تمّت فى شخص المسيح[١] فلقد استخدم هذا المثل : وحدة الروح والجسد لتكوين إنسان واحد كل من القديس اغسطينوس وتوما الاكوينى وكيرلس وآخرون ، لا بل أن نسطوريوس فى شرحه لعملية الوحدة بين اللاهوت والناسوت رجع هو أيضا إلى هذا المثل لكى يبرهن به على الوحدة القوية التى تمت فى شخص المسيح بين الطبيعتين ، معلناً بأنه وإن كان يعلم بوجود طبيعتين متميزتين مختلفتين فى الجوهر الواحدة عن الأخرى[٢] ولكنه يعلم بمسيح واحد ورب واحد وسيد واحد .

إن ساويرس يستخدم مثل الروح والجسد مثل بعض الآباء الذين ذكرنا بعضهم لكى يبين الوحدة التى تمّت فى شخص المسيح ، فهو يعترف باختلاف العنصرين فى النوع : روح وجسد جوهران مختلفان فى النوع ، ولكن بعد اتحادهما لا يكونان إلا شخصاً واحداً .[٣] فبعد الاتحاد لا يوجد للروح شخصية منفصلة وللجسد شخصية أخرى منفصلة ، بل إن الاثنين يكونان شخصاً واحداً وهو الإنسان . مثل الروح والجسد لا يمكن فصلهما الواحد عن الآخر بعد الاتحاد[٤] فإن الروح والجسد

---

(١) لدراسة استعمال مثل الجسد والروح فى بعض تعاليم الآباء الرجاء التكرم بدراسة كتاب د . حنا جرجس الخضرى – تاريخ الفكر المسيحى – الجزء الثانى ص ١٣٧ – ١٣٨ ، ٢٠٠ ، الجزء الثالث ص ١١٥ – ١١٨ ؛ Kelly 332 .

(2) H. Du Mahoir 135 - 150; Pl. 33, 520.

(٣) كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢٠٠ .

(4) R.C. Chesnut. op. cit. P. 12 - 14, Hom., K (po. 29 - 86) 58 (p.o. 8, 222 - 223).

لا يكونان بطرسين بل بطرساً واحداً ، أى أن الروح والجسد لا يكونان بعد اتحادهما إلا إنساناً واحداً مستقلاً .

ويحاول ساويرس تطبيق هذا المثل على اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح . فإنه لا يوجد بعد عملية الاتحاد استقلال مطلق بين اللاهوت والناسوت ولا توجد طبيعتان ، بل طبيعة واحدة متحدة طبيعة الكلمة المتجسد . ففى عملية الاتحاد التى تمّت فى بداية تكوين الجنين فى بطن القديسة العذراء مريم أصبح اللاهوت والناسوت واحداً ، فلا يوجد إلا مسيح واحد ، ومركز واحد للعمل والنشاط الذى منه تصدر كل عمليات الأقنوم الواحد(١) وفى حديثه عن العمليات أو الأنشطة التى يقوم بها أقنوم المسيح يتعرض معلم أنطاكية للعلاقة بين إرادة اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد . هل الإرادة الإلهية كانت فى صراع ونزاع مع الإرادة البشرية ؟ وإن اختلفت رغبات ومطاليب اللاهوت عن رغبات وميول الناسوت . فأيهما يسيطر على الأخرى ؟ هل اللاهوت احتفظ بميزاته وخواصه وكذلك الناسوت أيضا ، أم أن اللاهوت سيطر على الناسوت ، فتلاشى الناسوت ولم يوجد إلا طبيعة واحدة وهى طبيعة الكلمة المتجسد ؟ .

يعلّم ساويرس بوجود طبيعة واحدة فى المسيح مثل كل المونوفيسيين ، ولكنه بالرغم من ذلك يعترف بطريقة واضحة وصريحة بوجود عنصرين مختلفين ، اللاهوت والناسوت . كما أنه يعترف أيضا بأن اللاهوت احتفظ بخواصه ومميزاته وأن الناسوت احتفظ أيضا بخواصه ومميزاته . فعن طريق اتحاد اللاهوت بالناسوت تمّت عملية توصيل مستمرة . فإن اللاهوت مشترك وغير منفصل عن الناسوت والناسوت مشترك وغير منفصل عن اللاهوت . ولذلك فإن الإرادتين الإلهية والبشرية فى شخص المسيح ظلتا متميزتين ، ولكن غير منفصلتين : وعندما ندرس عظته رقم ٨٣(٢) عن إشعياء فهو يشرح لنا بأن يسوع المسيح كان يتمتع بإرادة بشرية كاملة ، لأنه كان إنساناً وإلهاً معاً . وبناء على ذلك فإنه كان يختار بمحض إرادته الخير الذى يمارسه ويرفض الشر .

---

(1) Lettre. p. 209; Chesnut p. 14.
(2) Serm., No. 83 (po. 20) (p.p 415 - 417).

فمع أن معلم أنطاكية يعتقد بأن المسيح كان يتمتع بإرادة بشرية ، إلا أنه يعلّم بأن هذه الإرادة البشرية التى كان يتمتع بها يسوع لم تكن مستقلة عن الإرادة الإلهية[1] . فإن هذه الأخيرة كانت تقود وترشد وتسيطر نوعاً ما على الإرادة البشرية .

كان المسيح من الناحية البشرية إنساناً ويشعر تماماً بما يشعر به أى إنسان أمام الخطر أو المرض أو الموت . هذا الشعور هو نابع من الناسوت من الإنسان يسوع ، ولكن اللاهوت الذى كان متحداً اتحاداً قوياً عميقاً بلا انفصال ، كان يدرك تماماً بأنه سوف يحطم قوة هذا العدو أى الموت بالقيامة . وهنا نجد شعورين مختلفين فى المسيح : شعور الخوف والاضطراب والانزعاج من الموت كإنسان ومثل كل إنسان عندما يواجه مشكلة الموت ، ثم نجد فى الجانب الآخر الشجاعة والثبات وعدم الخوف من الموت . فإن الإنسان يسوع يقول « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . إن الإنسان يسوع الناصرى يطلب من أبيه بأن تعبر عنه هذه الكأس المريرة القاسية ، إن أمكن ذلك ، أما اللاهوت فيقول : « ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت .. » (متى ٢٦ : ٣٩ - ٤١) ، « أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف » . إن الناسوت يريد أن يعبر هذه الكأس المريرة أما اللاهوت فيقول لتكن إرادتك .

إن هذه الصلاة لا تعبر عن صراع داخلى عنيف فى داخل شخص المسيح ، بل تعبر عن حوار بين إرادتين ، بين طبيعتين بين جوهرين مختلفين ، بين الناسوت الذى لا يريد أن يقاسى آلام الصلب ، وبين اللاهوت الذى يريد أن يفعل إرادة الله الآب .

إنه لا يوجد فصل أو انقسام بين هاتين الإرادتين بل تمايز . فهما مرتبطتان برابط الوحدة القوى العميق ، هذا يعنى بأنه توجد إرادتان وكل واحدة لها ميل ورغبة معينة ، ولكن الوحدة التى تربط الاثنين توحد العمل والميل والنشاط والتصرف فى سلوك وتصرفات الشخص الواحد . ولكى يشرح ساويرس عملية الإرادتين والوحدة فى شخص المسيح ، يقول عندما يقوم يوحنا بعمل ما ، لا نقول إن جسد يوحنا نام أثناء العمل لأن روحه ذهبت إلى زيارة مريض ، إن جسد يوحنا شرب وأن روحه هامت فى الفضاء ، بل نقول إن يوحنا قام بالعمل المعين : فإن شخص يوحنا كله قام بالعمل كله روحاً وجسداً وبإرادته المتحدة ، وهذا ما يمكن أن نطبقه على شخص الرب يسوع

(1) Hom., 83 (p.o. 4, 15 - 17; Hom 58 (p.o. 14. 222 - 3) R.C. C.hesnut. 23 - 30.

المسيح . فالأقنوم الواحد الوحيد هو الذى يقوم بكل الأعمال . ولكى يوضح فكرة اتحاد الإرادتين والأنشطة فى المسيح الواحد يضرب ساويرس مثل إنسان أراد أن يبنى بيتاً ، فإن هذا الإنسان يقوم بعمل رسم هندسى للبيت . ثم يختار مكاناً ، ويحفر للأساس ويضع الحجارة والمواد الأخرى والخشب ويضع السقف ... إن الجسد يقوم بالعمل العضلى العضوى الذى صممه العقل . إن العملية معمولة ومنفذة بالجسد ولكن العقل هو المشرف على تنفيذ هذه العملية . نرى الإنسان كله شخصاً واحداً وفرداً واحداً يقوم بالعمل . إن الذى قام بهذا العمل كله إنسان واحد مكوّن من روح وجسد[١] .

وهذا يمكن تطبيقه على المسيح لأنه يوجد نوعان من النشاط لكنهما متحدان . نشاط يمكن أن ننسبه حسب الظاهر للإنسان والآخر لله : يسوع يبكى يسوع يشفى أو يقيم من الأموات . فإن الذى يعمل هو الكلمة هو اللوغوس ، عمانوئيل وأما الأعمال فإنها عديدة ومختلفة متنوعة . فلا يجب فصل الكلمة العامل والقائد عن الجسد . لا يجب فصل العمليتين[٢] ، يرفض ساويرس فصل النشاطين أو الإرادتين الواحدة عن الأخرى فى المسيح . لا يوجد إلا أقنوم واحد ومسيح واحد وهو الذى يقوم بالنشاطين[٣] ويسيطر عليهما ويوجههما .

ولكى يشرح ساويرس عملية الوحدة فى شخص المسيح استعمل أيضا مثلاً قد استخدمه كثيراً بعض الآباء ، وهو رؤيا إشعياء (٦ : ٦) .

جمرة النبى إشعياء :

يستعمل معلم أنطاكية المونوفيستى رؤية إشعياء النبى للجمرة الملتهبة لكى يشرح تعاليمه الخاصة بوحدة الرب يسوع المسيح ووحدة العنصرين اللاهوت والناسوت : فإنه يرى فى هذه الرؤية رمزاً واضحاً لشخص المسيح : اتحاد اللاهوت بالناسوت بعد التجسد . فإن هذه الجمرة عبارة عن قطعة من الخشب ، لكنها تحتوى بداخلها وخارجها على نار ملتهبة مشتعلة ، فهى قطعة خشب ولكن فى الوقت نفسه جمرة من النار المشتعلة الحارقة . وبالرغم من أنها نار محرقة ملتهبة فهى فى طبيعتها أو جزء منها خشب وجزء نار ؛ نار اتحدت أو اشتعلت فى قطعة الخشب فأصبحت القطعة الخشبية ناراً مشتعلة

(1) Sévère. Letter to Sergivs (Cs co Vol. 119) 83; 82.
(2) Contre. Gram 3, 33 (Cs co, Vol 101) 181; First Letter to Sergius (CS CO, Vol 119) 89.
(3) R.C. Chesnut. op. cit. p. 28 - 32.

محرقة ، والخشب لم ينفصل عن النار والنار لم تنفصل عن الخشب . إن الاثنين القطعة الخشبية الملتهبة والنار المتقدة فى هذه القطعة يكونان وحدة واحدة وهى **الجمرة الملتهبة** . فعن طريق الاتحاد الهوبوستاتيكى (الاتحاد العضوى أو العنصرى) صار الاثنان وحدة واحدة ، فعن طريق هذا الاتحاد نتج المسيح ، فالمسيح يسوع هو النتيجة الحتمية لعملية اتحاد اللاهوت بالناسوت . إن كل عنصر (طبيعة) من العنصرين احتفظ بخواصه ومميزاته النار بلهيبها والخشب بمادته المحترقة . ولكن من هذين العنصرين خرجت وحدة واحدة وهى الشعلة أو الجمرة الملتهبة : كذلك من اتحاد اللاهوت والناسوت خرج المسيح الواحد الأقنوم الثانى من الثالوث .

ولقد استعمل القديس كيرلس العظيم معلم ساويرس نفس الرؤية لشرح نفس المشكلة العقيدية ، أى اتحاد اللاهوت بالناسوت . فإن معلم الإسكندرية يعتقد بأن الجمرة الملهتبة تشير إلى شيئين **أولاً** فإن هذه الحجرة تشير إلى عملية التطهير ، فعندما يلمس كلمة الله أو اللوغوس شفاهنا النجسة المملوءة بالكذب والمكر والغش والخطية ، فهو يطهرنا حالاً إذا اعترفنا بهذه الخطايا بطريقة صادقة وأمينة **ثانياً** إن الجمرة الملتهبة تشير أيضا إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت . فعندما تشتعل النار بقطعة من الخشب أو من الفحم تخترقها وتستولى على كيانها فتحول مظهرها وليس جوهرها إلى مظهر النار . وتوصل لها قوتها وصفاتها الخاصة بها حتى أنها (قطعة الفحم) تعتبر واحداً معها . وهذا ما حدث فى المسيح يسوع . لأن الله اتحد بالناسوت بطريقة لا يعبر عنها . وقد احتفظ بالناسوت وبالصفات الخاصة بالناسوت كما ظل هو نفسه إلهاً كما كان سابقاً....[١]

كان المعلم المونوفيستى ساويرس يحاول الاعتدال فى بعض الأحيان وفى بعض النقاط الكرستولوجية . لكنه كان مقتنعاً بأن مجمع خلقدونية وقراراته غير صحيحة من الناحية العقائدية أو على الأقل البعض من قراراته وتعاليمه . ولذلك فقد رفض الكثير من تعاليم هذا المجمع وخاصة عقيدة وجود طبيعتين متميزتين فى شخص المسيح ، بالرغم من أنه هو نفسه يعترف وعلّم بوجود عنصرين فى شخص المسيح . ولذلك فقد رفض العبارة التى قبلها مجمع خلقدونية والتى تقول « المسيح — فى طبيعتين » (En deux Natures) لكنه قبل عبارة « من طبيعتين »[٢] .

(١) د . حنا جرجس الخضرى – تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثالث ص ١٢٠ – ١٢١ .

(2) Hefile. L. 11. P. 870 - 875.

يعتقد ساويرس بوجود العنصرين اللاهوت والناسوت فى المسيح ولكى يتجنب استعمال عبارة طبيعة واحدة مركبة فهو يعلم بوجود طبيعة واحدة بعد التجسد ، ولكن هذه الطبيعة الواحدة يدعوها طبيعة واحدة مركبة لأن كل الأنشطة والعمليات الإلهية والبشرية تمر بها وتنفذ عن طريقها[1] .

٣ - مشكلة آلام المسيح

لقد تعرضنا فى الصفحات السابقة لشرح الاتحاد بين الطبيعتين فى شخص المسيح ، وقد رأينا بأن الكلمة ، اللوغوس قد تجسد وصار إنساناً ملموساً محسوساً . كان الكلمة يعيش بين الناس ومعهم . وفى نهاية المطاف صلب المسيح على الصليب ودفن وقام من بين الأموات وهنا تعترضنا عدة أسئلة : هل تألم المسيح فعلاً ؟ من الذى تألم ، اللاهوت أم الناسوت أم كلاهما معاً ؟ فإذا كان الناسوت وحده هو الذى تألم فهل يوجد انفصال بين اللاهوت والناسوت ؟ وفى هذه الحالة ما المقصود من عملية الاتحاد إذن ؟ وإذا كان اللاهوت اشترك مع الناسوت فى الآلام هل يمكن القول بأن اللاهوت يتألم ؟ هل يمكن أن يشعر الله بالآلام ويموت ؟ وهل الله الأزلى الأبدى العظيم الكلمة يعرف الموت أو للموت سلطان عليه ؟ .

سوف نحاول أن نجاوب على بعض هذه الأسئلة وغيرها عن هذا الموضوع الخاص بناسوت ولاهوت المسيح فى رأى ساويرس الأنطاكى . ولكن قبل أن ندرس مشكلة آلام المسيح من الناحية العقيدية يجب أن لا يغيب عن أذهاننا بعض الأحداث التاريخية المهمة ، وسنقدم فى الصفحات التالية مقدمة تاريخية قبل مناقشة موضوع آلام المسيح .

لقد عمل الإمبراطور انسطاسيوس وخاصة فى الفترة الأخيرة من حكمه على تشجيع ومساعدة ونشر المونوفيسية فى الإمبراطورية . ولذلك فإن الحقبة التى حكم فيها تعتبر حقبة ذهبية مزدهرة بالنسبة لجماعة المونوفيستيين . ولكن عندما توفى فى يوم ٩ يوليو سنة ٥١٨ تغيرت الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والطائفية فى الإمبراطورية البيزنطية .

(1) Moeller. op. cit. P. 427 - 432.

الفصـــل الســـادس

الإمبـراطــور يــوسـيتيــوس

توفى الإمبراطور انستاسيوس المونوفيسيتى فى ٩ يوليو سنة ٥١٨ كما قلنا ، وفى نفس اليوم أعلن أن يوسيتيوس أصبح إمبراطوراً جديداً على الإمبراطورية البيزنطية . كان يوسيتيوس فلاحاً يجهل القراءة والكتابة ، وانضم إلى الحرس الإمبراطورى فصار واحداً من قادته الماهرين . كان الإمبراطور الجديد قد تجاوز السبعين[١] من عمره ، ولذلك فقد اعتنى عناية خاصة بتعليم وتهذيب ابنى اخته وقد اختار واحداً منهما وهو يوسينيانوس لكى يكون شريكاً له فى الحكم .

● تغييـر الأوضــاع الدينيــة

كان الإمبراطور السابق انستاسيوس مونوفيسياً ويحتمل بأنه كان يتكلم اليونانية ، وأما يوسيتيوس فكان يتكلم اللغة اللاتينية كما أنه كان خلقدونياً فى عقيدته كالأغلبية الساحقة من سكان القسطنطينية وضواحيها .

ولذلك فقد جاء الشعب إلى كنيسة الحكمة الإلهية فى القسطنطينية افواجاً فى يوم ١٥ يوليو ٥١٨ ، وأرغم البطريرك يوحنا بأن يعلن فى الكنيسة أثناء الخدمة بصحة أعمال المجمع المسكونى الرابع كما أرغم بأن يذكر افيميوس ومقدونيوس وليون فى قائمة أسماء الأساقفة . كما طلب منه أيضا أن يحرم ساويرس ففعل . وفى يوم ٢٠ يوليو اجتمع مجمع فى القسطنطينية حيث اشترك فى أعماله أربعون أسقفاً وفحصوا طلبا قدمه رهبان هذه المدينة يلتمسون فيه إعادة الاكليريكيين الخلقدونيين الذين خُلعوا من مناصبهم[٢] . ولقد أصدر الإمبراطور فرماناً رسمياً يلزم كل الأساقفة بالاعتراف بمجمع خلقدوينة ، وإعداد نص جديد يحل محل (الاينوثيكون) رسالة زينون ، كما أصدر الإمبراطور رسالة أخرى يعلن فيها إقصاء الهراطقة عن وظائف الدولة والجيش[٣]

---

(1) F.X. Murphy et Sherwood. Const. 2, 3. P. 57.

(2) Fliche et Martin. 426.

(3) ....; F.X. Murphy. 57 - 58; Mansi 8. 1057 D - 1065 D.; Michel. Le Syrien, Chronique 9, 16;

د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٦١ – ٣٦٣ .

وصدرت الأوامر بعودة الأساقفة الخلقدونيين الذين أبعدوا عن مراكزهم أثناء حكم انستاسيوس وابعاد الأساقفة المونوفيستيين . كانت الاضطهادات ضد جماعة المونوفيستيين شاملة عامة[1] . ولقد أمر الإمبراطور بالقبض على زعيم المونوفيستيين فى أنطاكية وهو ساويرس . ويعتقد البعض بأنه أمر بقطع لسانه[2] ، حتى لا يستطيع الدفاع عن تعاليمه فيما بعد . ولكن ساويرس تمكن من الهروب إلى الإسكندرية قبل أن يقبض عليه ، وكذلك بطرس الاباماوى ويوليانوس الهيليكارنسوسى وآخرون كثيرون فروا هاربين من جراء الاضطهادات العنيفة التى شنها الإمبراطور ضد المونوفيستيين[3] .

كان الإمبراطور يوستينوس خلقدونياً متحمساً ، ولذلك فقد سعى جاهداً حال صعوده على العرش إلى ارجاع السلام والوحدة بين كرسى روما والقسطنطينية .

فلقد سبق ورأينا الانفصال الذى حدث بين روما وكنائس الشرق بسبب رسالة زينون (الهينوتيكون) فعندما وقع كل من أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية وبطرس مونج رئيس أساقفة الإسكندرية على رسالة الوحدة (الهينوتيكون) فقد وقعا على معاهدة سلام وخصام فى نفس الوقت . فلقد تمّ السلام بين كنائس القسطنطينية والإسكندرية التى كانت فى صراع مستمر . ولكنهما وقعا على معاهدة خصام وصراع مع جزء من الكنائس المصرية التى لم تقبل هذه الرسالة واعتبرت بطرس خائنا لحزبه بقبوله هذه الرسالة ، فلقد انفصل عن بطرس مونج جماعة من المونوفيستيين وكوّنوا حزباً مونوفيسياً جديداً يدعى حزب الاسيفاليين (يعنى الحزب الذى بدون رأس أو بدون قائد) ، لقد قبلت كل من القسطنطينية ، الإسكندرية ، أنطاكية وأورشليم الهينوتيكون . أما روما فقد رفضت رفضاً باتاً هذه الرسالة . ولقد أرسل البابا فيلبس الثالث إلى القسطنطينية بعض الممثلين الذين حملوا من طرفه عدة خطابات إلى كل من الإمبراطور زينون وإلى رئيس أساقفة القسطنطينية وإلى آخرين من القادة ، طالباً منهم جميعاً التمسك بقرارات مجمع خلقدونية ورسالة القديس ليون ورفض الهرطقات المونوفيستية ، كما أنه طالب بمحاكمة أكاكيوس ، ولقد عقد البابا فيلبس مجمعاً محلياً فى روما فى ٢٨ يوليو سنة ٤٨٤ وحضره ٧٧ أسقفاً وحرم الوفد الذى مع الإمبراطور ومع أكاكيوس كما أنه حرم

---

(1) F.X. Murphy. 57 - 58.

(٢) د . أسد رستم الجزء الثالث ص ٣٦٢ .

(3) Michel le Syrien, 9, 14; Zacharie, Hist. Eccl, 8, 5; Duchesne, L, Eglise au 6 Siecle, 70.

أيضا أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية . ثار أكاكيوس ضد هذا الحرمان وأمر برفع البابا فيلبس من الصلوات . وعندئذ انفصلت كنيسة القسطنطينية عن كنيسة روما واستمر هذا الانفصال بين كنيسة روما وكنائس الشرق بصفة عامة وبين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية بصفة خاصة حوالى أربعين عاماً من سنة ٤٨٤ – ٥١٩ م .

ولكن فى أول أغسطس سنة ٥١٨ م كتب الإمبراطور يوسيتيوس إلى البابا هورميسداس (Hormisdas) يعلن له انتخابه إمبراطوراً وبعد شهر من هذا التاريخ أرسل وفداً إلى روما يحمل عدة رسائل كُتبت بخط يده تعبر عن رغبته الشديدة فى ارجاع العلاقات بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية حتى يسيطر السلام على الكنيسة والإمبراطورية[1] . وبناء على هذا الطلب أرسلت روما وفداً مكوّناً من أسقف وكاهن وشماس يونانى وديوسقوروس الكاتب وهو إسكندرى الأصل . ولقد وصل هذا الوفد إلى القسطنطينية يوم ٢٥ مارس سنة ٥١٩ م . وكانت التعليمات التى سُلمت لهذا الوفد المرسل إلى القسطنطينية أن يقبلوا فى شركة الكنيسة الرومانية كل الذين وقعوا على الرسالة التى أُرسِلت فى سنة ٤٩٨ م إلى الإمبراطور انسطاسيوس . ففى تلك الرسالة يشرح البابا بأن قول المسيح كان موجهاً لبطرس « أنت بطرس » ... ثم يعلن أيضا بأن الإيمان الكاثوليكى القويم ظل دائماً محفوظاً فى الكنيسة الرومانية . كما أنه حرم كل من نسطوريوس وأوطيخا وأتباعهما . وشدد على قبول قرارات مجمع خلقدونية ورسائل البابا القديس ليون العقائدية[2] . طالب أيضا بأن يحذف من الصلاة ليس فقط اسم أكاكيوس مصدر الانشقاق الذى فصل كنيسة روما من كنيسة القسطنطينية بل أن تحذف أيضا أسماء خلفائه افيميوس ومقدونيوس والإمبراطور زينون وانسطاسيوس[3] .

وفى يوم الخميس الموافق ٢٨ مارس سنة ٥١٩ وقع يوحنا رئيس أساقفة القسطنطينية والأساقفة ورؤساء الأديرة والمرسلون من روما على معاهدة رجوع السلام بين الكنيستين[4] ، وفى يوم عيد القيامة اشتركوا معاً فى الليترجية وفى العشاء الفصحى :

---

(1) Coll. Avellana, 145 - 146; A Fliche et V. Martin, 428 - 430.

(2) Justin 1er, Epist, ad Harmisdam, C.S.E.L, 35, 586 - 588; PH. Hughes. The Church in Crisis. A History of the Twenty Great Councils. p. 80 - 84.

(3) Coll. Avellana, 141, 167; Fliche et Martin 429. F.X. Murphy Et P. Sher wood. Cons. 2, 3. P. 53, 58; Suggestio Diacori Dioscori, Csel 35, 618 - 621.

(4) Exemplum Libelli Johannis, ep. Constanti nopolitani; Csel, 36, 607 - 610.

رئيس الأساقفة يوحنا ومرسلو روما .. ولقد مكث الوفد الرومانى فى القسطنطينية حتى يوم ١٠ يونيو سنة ٥٢٠ لمراقبة تنفيذ المعاهدة فى الأبرشيات الأخرى فى الشرق[1] وهكذا تمّ الصلح ورجع السلام والشركة الكنسية بين روما والقسطنطينية بعد انشقاق استمر حوالى أربعين سنة .

مشكلة آلام واحد من الثالوث أو عقيدة تألم الإله

بعد هذه المقدمة التاريخية لنحاول دراسة موضوع آلام المسيح ، أو مشكلة واحد من الثالوث تألم من الناحية العقائدية والتاريخية أيضا . لقد سبق أن رأينا بأن الكنائس الشرقية انفصلت عن كنيسة روما بسبب الانقسام الذى حدث بسبب رسالة زينون الإمبراطور وقبول أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية لهذه الرسالة . فلقد حرم البابا فيلبس الثالث أكاكيوس فى سنة ٤٨٤ م ومن هذا التاريخ حدث انفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية استمر إلى سنة ٥١٩ م . ففى هذه السنة حدث انتصار عظيم للحزب الخلقدونى . فإن الإمبراطور الجديد الذى تربع على عرش الإمبراطورية البيزنطية إمبراطور خلقدونى لاتينى من الذين يؤيدون قرارات مجمع خلقدونية ويعملون على نشرها .

ولذلك فقد كان حريصا كل الحرص على التمسك بالعلاقة مع كنيسة روما ولذلك فقد كتب للبابا حال وصوله إلى السلطان وطلب منه تجديد الشركة بين الكنيستين . ولقد أرسل البابا وفده لعمل اللازم لوصل هذه الشركة المقطوعة كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ففى نفس الفترة التى كان يناقش فيها الوفد مشكلة رجوع الشركة بين الكنيستين وصلت جماعة من الرهبان السكيثيين Scythes إلى القسطنطينية .

١ - الرهبان السكيثون (Scythes) ومشكلة واحد من الثالوث تألم

فمن الغريب العجيب بأنه فى الوقت الذى أرسل فيه البابا هورميسداس وفده إلى القسطنطينية لإرجاع السلام بين كنيسة روما وكنيسة الشرق ، جاء إلى نفس العاصمة

---

(1) Duchesne, L'Eglise au 6e Sieclep. 52.

الشرقية جماعة من الرهبان السكيثيين من رومانيا وعلى رأسهم الراهب يوحنا ماكسانس . Jean Maxence

فعلى ما يبدو كانت هذه الجماعة من الرهبان تتألم لحالة الكنيسة المنشقة والممزقة وخاصة بعد مجمع خلقدونية . ولذلك فقد حاولوا أن يجدوا طريقة لحل بعض المشاكل العقائدية الشائكة التى فصلت الكنيسة إلى حزبين : حزب خلقدونى وحزب لا خلقدونى يهاجم الواحد الآخر .

ففى هذه الفترة من حوالى سنة ٥١٩ - ٥٥٣ م نلاحظ ظهور تيارات عقائدية وسياسية تهدف إلى التوحيد بين الحزبين المتصارعين . فعلى الصعيد العقيدى يلاحظ الدارس ظهور بعض المعلمين المتعصبين فى الحزبين ، وكان يدافع كل منهم عن تعاليم طائفته ويتمسك بها تمسكاً شديداً ولو إلى الموت لو لزم ، فكان ساويرس يدافع بكل قواه عن التعاليم المونوفيسية وكذلك الآخرون أيضا . وهذا نفس ما حدث فى القرن الرابع عندما ظهر ابولوناريوس يعلم بعدم وجود روح بشرية فى المسيح فقامت جماعة من معلمى أنطاكية لدحض هذا التعليم . وكانت هذه الجماعة تضم رهبان علماء مثل ديودوريوس الطرسوسى ويوحنا فم الذهب وثيودوريوس الموبسيوستى وآخرين[1] . فلقد استمر هذا الصراع العقيدى الكرستولوجى فترة طويلة ووصل إلى أشده فاندلعت المعارك وسالت الدماء غزيرة ، وامتزجت السياسة بالدين والعقيدة ، وانقسم جسد المسيح ؛ الكنيسة . فبعد مجمع خلقدونية نجد الكنيسة منقسمة بين مونوفيسيين (Monophysites) وبين جماعة الذين يؤمنون بوجود طبيعتين (dyophysites) فى شخص المسيح .

وهنا فى هذه الحقبة وأمام الصراع العقيدى الذى فرق الكنيسة وهدد أيضا الإمبراطورية بالتفكك ظهرت جماعة من القادة والمفكرين والمعلمين فى الكنيسة وخارج الكنيسة تدعو إلى توحيد الصفوف وتضميد الجروح وتسوية الخلافات العقيدية والمصالحة بين الأحزاب المتصارعة بين الخلقدونيين واللاخلقدونيين . ومن بين هذه الجماعات والأفراد الذين حاولوا بكتاباتهم وعلمهم وتأثيرهم السياسى والدينى نذكر جماعة السكيثيين الذين قاموا بمجهود ضخم لتوحيد الخلقدونيين واللاخلقدونيين .

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى - تاريخ الفكر المسيحى - المجلد الثانى من ٧٠ - ٧١ .

فقد تمسك الخلقدونيون بقرارات خلقدونية ورسالة (Tome) القديس ليون كما لو كانت رسالة عقائدية موحى بها . ألم يطالب الوفد الرومانى الذى كان يمثل الكنيسة الكاثوليكية فى المجمع الخلقدونى فى سنة ٤٥١ م التمسك بكل الرسالة التى أرسلها البابا وعدم حذف أى فقرة منها أو تغيير أى جملة فيها ، وإلا تركوا المجمع ورجعوا إلى روما وقُبل طلبهم فعلاً . أما المونوفيسيون الذين اعتقدوا بأن القديس كيرلس علّم بوجود طبيعة واحدة رجعوا إلى الجملة التى خدع بها القديس كيرلس وهى من أقوال ابولوناريوس « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد ، فقد تمسكوا (المونوفيسيون) هم أيضا بوجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح .

قام السكيثيون بدراسة عقيدية للتوفيق بين تعاليم القديس كيرلس وتعاليم القديس ليون ومجمع خلقدونية . وفى بحثهم للوحدة وجدوا عبارة اعتبروها كقنطرة لوصل هذين الحزبين المتصارعين الخلقدونى واللاخلقدونى . والتوفيق بين التعاليم التى نادى بها القديس كيرلس الإسكندرى مع روح رسالة القديس ليون ومجمع خلقدونية . وكانت هذه العبارة هى (واحد من الثالوث قد تألم فى الجسد) .

ولقد اعتقد الرهبان السكيثيون بأن هذه الجملة تشرح بطريقة واضحة وصريحة تعاليم القديس كيرلس الإسكندرى . فإن الابن الذى تجسد فى بطن مريم العذراء هو واحد من الثالوث . وبما أن الابن تألم وصُلِبَ ومات ، فإن واحد إذن من الثالوث المقدس . قد تألم . وهى العقيدة التى تدعى فى علم العقائد تألم الإله Theopaschites . ولقد علّم القديس كيرلس بتألم الإله فى الجسد بسبب الاتحاد الوثيق العميق الذى تمّ بين اللاهوت والناسوت فهو يقول فى الحرمانات الشهيرة التى أرسلها إلى نسطوريوس فى الحرمان رقم ١٢ « وليكن محروماً كل من ينكر أن الكلمة الله تألم فى جسده وصلب فى جسده ، وذاق الموت فى جسده ، وأصبح باكورة الراقدين ، وكإله فهو الحياة وهو المحيى »[1] .

---

(1) A select Library of Nicene and Post-Nicene Facthers of Christian Church... Vol. 14. p. 206 - 221;

مجموعة الشرع الكنسى ... جمع الارشمندريت حنانيا الياس كساب ص ٣٠٧ – ٣٢١ ؛ الدكتور حنا جرجس الخضرى – تاريخ الفكر المسيحى – المجلد الثانى ص ٢٢٢ .

إن عقيدة (**واحد من الثالوث تألم فى الجسد**) ظهرت مرة ثانية فى كتابات بعض معلمى العقائد وبالتحديد فى حوالى سنة ٤٣٥ فى رسالة بروكلوس الشهيرة (Proclus) رئيس أساقفة القسطنطينية . هذه الرسالة التى كتبها رداً على تساؤلات بعض الأخوة من القادة والأساقفة فى كنيسة أرمنية .

ولقد بدأ رئيس أساقفة القسطنطينية هذه الرسالة بدحض تعاليم الكنيسة الأنطاكية باعتبارها غير ارثوذكسية لأنها لا تتفق وعقيدة الاتحاد التى تمت فى شخص المسيح يسوع بين اللاهوت والناسوت ... فإنه علّم فى هذه الرسالة بأن الكلمة المتجسد **هو الأقنوم الثانى من الثالوث**(١) وأن الكلمة لم يتألم ولم يمت فى طبيعته الإلهية ، ومع ذلك فقد تألم وعطش بسبب الاتحاد ، ففى صيرورته إنساناً لم يغير شيئاً من طبيعته الإلهية ..(٢) . إن بروكلوس يعلم فى هذه الرسالة أن الاتحاد كان اتحاداً حقيقياً وليس تمثيلاً أو حسب الظاهر ولذلك فإن اللاهوت اشترك فى ضعف الناسوت : أى أنه تألم وعرف بطريقة فعلية حقيقية تألم الجسد والحزن والموت . فإن الذى تألم وعطش وجاع وفى نهاية المطاف مات وقام من بين الأموات هو يسوع المسيح ، هو الكلمة المتجسد ، أى الأقنوم الثانى من اللاهوت .

ولقد ظهرت هذه العقيدة « واحد من الثالوث قد تألم أو صلب من أجلنا » بظهور المعلم الأنطاكى الثائر المونوفيسيتى بطرس الدباغ فى سنة ٤٧٠ م .

عندما جاء زينون قائد الجيش الأشورى إلى أنطاكية فى حوالى سنة ٤٧٤ م أحضر معه بطرس الدباغ وكان هذا الأخير راهباً لاخلقدونياً وكان من أتباع الذين يعلمون بالطبيعة الواحدة فى المسيح . وحال وصوله إلى أنطاكية قام بحركة نشاط واسعة ومكثفة لنشر التعاليم المونوفيسية ليس فقط بين الذين قبلوا هذه التعاليم بل بين الخلقدونيين أنفسهم فجمع حوله جماعة من الأبولوناريوسيين والمونوفيسيين الذين اتفقت آراؤهم وتعاليمه . ولقد عمل بطرس الدباغ فى كل حياته على تكوين جماعة قوية ثابتة من المونوفيسيين ، وتتميز عن الخلقدونيين . ولأجل هذا السبب فقد حاول ادخال بعض العبارات الجديدة فى الخدمة والعبادة . فهو الذى أضاف إلى التقديسات الثلاث الكلمات

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى – المجلد الثالث – الفصل السابع ص ٦٦ .

(2) Proclus de Constantinople. Tome aux Arméniens Aco 4, 2, 73; PL 65, 887; F.X. Murphy 58 - 60.

التى تقول « قدوس الله ، قدوس القوى ، قدوس الذى لا يموت » ، قوله « الذى صُلِبَ عنا » .(١)

كان هدف بطرس الدباغ من استعمال هذه الصيغة هو التمييز بين جماعة الخلقدونيين الذين قبلوا عقيدة وجود طبيعتين فى المسيح وبين جماعة المونوفيسيين والذين كان يتزعم قيادتهم والذين علموا بأن اللاهوت الله نفسه الذى لا يعرف الآلام أو الموت ، وإن عرف الآلام والموت فى جسده بسبب اتحاده بالناسوت ، ومن هنا يتضح بأن الغرض كان التمييز بين تعاليم الحزبين .

وهنا يظهر الفرق الشاسع بين مجهود وغيرة بطرس الدباغ الذى كان يهدف إلى التفريق بين الحزبين ومجهود السكيثيين وبعض المعلميون الذين بذلوا جهداً كبيراً وضخماً لتوحيد هذين الحزبين المتصارعين . فإن السكيثيين حاولوا ببحثهم وعلمهم ودراستهم الوصول إلى إيجاد حل لتوحيد الخلقدونيين واللاخلقدونيين .

كان السكيثيون يؤمنون ويعلمون بأن الذى عاش على الأرض وأكل وشرب وتألم ومات على الصليب ودفن وفى اليوم الثالث قام من بين الأموات ليس فقط الناسوت (يسوع الناصرى) بل هو واحد من الثالوث أيضا ، يعنى الكلمة : الله الكلمة الذى ليس للموت سلطان عليه أصبح بسبب اتحاده بجسد بشرى خاضع للآلام والموت . فإن الألم كان مشتركاً بسبب الوحدة بين الناسوت واللاهوت . فإن كان المسيح لم يتألم فى جسده كإله ، كيف يمكن إذن شرح عملية الاتحاد بين الجوهرين ؟ وهنا يرجع جماعة السكيثيين إلى تعاليم القديس كيرلس فى الحرم الثانى عشر حيث يقول « وليكن محروماً كل من ينكر أن الكلمة الله تألم فى جسده وصلب فى جسده وذاق الموت فى جسده ... » . فقد علم القديس كيرلس بطريقة واضحة وصريحة بعقيدة اشتراك الخواص أو الصفات ، يعنى بأن اللاهوت يشعر بما يشعر به الناسوت ويشترك فى أعماله وكذلك الناسوت . فإن كان الناسوت تألم فإن اللاهوت تألم أيضا ، بسبب الوحدة القوية بين الجوهرين ، وقد نبر السكيثيون على حقيقة أن هذا ما علم به كيرلس وبذا ضمنوا توصيله ليس فقط إلى المونوفيسيين المتمسكين بتعليم كيرلس ، بل أيضا إلى بعض الخلقدونيين الذين رأوا فى كيرلس معلماً أرثوذكسيا عظيما . فإذا قبل الخلقدونيون أو

(١) د . حنا الخضرى – المجلد الرابع – ص ٥٥ .

بعضهم تعاليم كيرلس أو بعضها مثل مشكلة « واحد من الثالوث قد تألم » فإن هذا الأمر يعتبر خطوة مهمة جداً فى طريق النقاش والحوار المسكونى والوحدة بين الحزبين المتخاصمين .

ومن المدهش أن هؤلاء الأخوة الرهبان الذين كانوا بلا شك يصلون ويبحثون عن الوسائل الفعّالة لتوحيد الكنيسة ، وصلوا إلى مدينة القسطنطينية ، فى الوقت الذى كان فيه يناقش الوفد المرسل من قبل البابا هورميسداس وكنيسة القسطنطينية وممثلى الإمبراطور موضوع ارجاع السلام بين الكرسيين . فلقد سبق أن رأينا بأن الإمبراطور الجديد يوستينوس طلب من البابا هورميسداس مصالحة الكرسيين ،الرومانى والقسطنطينى . وهنا وفى هذا الوقت الذى كانت تناقشُ السلطات السياسية والدينية مشروع توحيد كرسى روما مع الكنائس الشرقية بصفة عامة ومع القسطنطينية بصفة خاصة ، ظهر هؤلاء الرهبان بمشكلة عقيدية . فلقد سبق أن رأينا بأن هؤلاء الرهبان كانوا مندفعين للتبشير بهذه العقيدة لأنهم كانوا مقتنعين بأن هذه الفكرة تفسر تماماً تعاليم كيرلس الكرستولوجية وليست بعيدة عن قرارات مجمع خلقدونية . وبناء على ذلك يمكن استعمالها لتوحيد الحزبين . على أن بعض القادة والمسئولين عن مشروع التوحيد خشوا من أن يفتح هذا التعليم باب النقاش والجدل العقيدى الذى قد يقود إلى توسيع فجوة الخلاف وتحطيم المجهود المبذول فى ذلك الوقت لمصالحة الحزبين والكراسى الشرقية مع كرسى روما .

فعندما وصل الوفد الرومانى فى مارس سنة ٥١٩ لكى يناقش مع المسئولين فى الإمبراطورية وفى البطريركية موضوع رجوع العلاقات المقطوعة بين الكرسيين ، الغربى والشرقى ، وجدوا بأن جماعة السكيثيين يبشرون بعقيدة « واحد من الثالوث قد تألم » .[1] كما أن هؤلاء الرهبان اتصلوا بالوفد الرومانى حال وصوله إلى القسطنطينية لكى يشرحوا لهم هذه العقيدة والفائدة العقائدية والسياسية التى سوف تنتج عنها فيما يخص موضوع السلام بين الكرسيين وفى الإمبراطورية .

وفى ذلك الوقت كانت توجد جماعة من الرهبان الذين سموا بالرهبان الساهرين أو الذين لا ينامون (Veilleurs) أو (Vigilants) وذلك يرجع إلى أن الصلاة كانت تستمر فى

---

(1) Fliche et. V. Martin. op. cit p. 429 - 430;

تاريخ الكنيسة المسيحية ... الكسندروس ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

ديرهم لمدة ٢٤ ساعة* ، وكان الرهبان الساهرون من الخلقدونيين المتعصبين للتعاليم الخاصة بوجود طبيعتين فى شخص المسيح يسوع . ولذلك فقد اتصلوا هم أيضا بالوفد الرومانى المرسل من قبل البابا هورميسداس لمناقشة موضوع إرجاع العلاقات بين الكرسيين والإمبراطورية . وبينوا لوفد روما خطورة التعاليم التى ينادى بها الرهبان السكيثيون ليس فقط من الناحية العقائدية بل من الناحية السياسية . لأن إثارة أى نوع من الجدل فى هذا الوقت الحرج الحساس قد يقود إلى احباط المجهودات المبذولة للوحدة ، فهو الوقت الذى بدأ فيه الإمبراطور الجديد يوستينوس بسياسة جديدة وتغييرات عديدة . ولذلك فقد رفض الوفد الرومانى فى القسطنطينية الدخول فى مجادلات عقائدية واتصل بروما لاستشارتها فى الموضوع . وعندئذ انطلق أربعة من الرهبان السكيثيون إلى روما لكى يدافعوا عن تعليمهم (واحد من الثالوث تألم) أمام البابا هورميسداس والأساقفة(1) أما الرهبان الذين ظلوا فى القسطنطينية فلم يعرف الفشل أو التهاون فى تأدية الرسالة طريقه إلى قلوبهم المملوءة حماسة وغيرة لنشر هذا التعليم ورجوع الوحدة إلى الكنيسة وإلى الإمبراطورية . ولذلك فقد بدأوا فى القسطنطينية حملة تعليمية تبشيرية . كما أن بعضهم اتصل بالكونت أو الإمبراطور يوستينيانوس لأنه كان قد بدأ الاشتراك فى الحكم مع يوستينوس ، لشرح هذه العقيدة له . فأظهر فى بداية الأمر نوعاً من عدم الاهتمام ، ثم تحول إلى الإصغاء والتفكير فى النتائج السياسية التى يمكن الحصول عليها من قبول هذه العقيدة . وفى نهاية الأمر قبل الإمبراطور يوستينيانوس تعاليم الإخوة السكيثيين الخاصة بموضوع (واحد من الثالوث تألم) .

---

* لقد انتشر النظام الرهبانى فى القرن الخامس والقرن السادس بدرجة مدهشة عظيمة ، ففى سنة ٥١٨ كان يوجد فى القسطنطينية وحدها سبعة وستون ديراً . وكانت تتمتع هذه الأديرة أو معظمها بسلطان روحى على الكنيسة وعلى الشعب وعلى الإمبراطور . كان بعض هذه الأديرة يتبع التيار العقائدى النسطورى المتطرف وبعضها يتبع التيار النسطورى المعتدل والبعض الآخر خلقدونى كما أن بعضها اتبع تعاليم كيرلس ورفض مجمع خلقدونية . وكان دير الأخوة الساهرين واحداً من هذه الأديرة : لقد أسس الكسندر من القسطنطينية الذى مات فى سنة ٤٣٠ هذا الدير فى بداية القرن الخامس ، على الجانب الأسيوى من الباسفور .

(1) Tixeront. 3. P. 130.; P.L., 68. 471 - 473.
Fliche et Martin. op. cit. p. 429; L. Duches he, L'Eglise au 6e Siecle P. 54; Tixeront 3. 131 - 132; F.X. Murphy. op. cit. P. 58 - 61; C. Bihlmeyer. Tuchle. 1, 371 - 372; J. Heféle, Hist. des Conciles 2. P. 869 - 879.

مما لاشك فيه بأن الإمبراطور يوستينيانوس كان واحداً من الأباطرة النادرين جداً الذين اهتموا بدراسة وتعاليم العقائد . فقد اعتبر نفسه - كما اعتبره الكثيرون أيضا - معلماً للعقائد ، لا يقل فى معرفته للكتب المقدسة وتعاليم الآباء عن كثيرين من المعلمين المشهورين فى عصره . على أن القرار الذى اتخذه فى تأييده لعقيدة « واحد من الثالوث تألم » لم ينبع من اقتناعه الداخلى الشخصى فحسب ، بل كان يهدف إلى نتائج سياسية . ففى ذلك الوقت عينه أرسلت كنائس أنطاكية وكنائس أورشليم إلى الإمبراطور يوستينيانوس قانون إيمان أرثوذكسى وكان يحتوى على بعض الصيغ أو العبارات من تعاليم الرهبان السكيثيين . ولذلك فإن الإمبراطور اعتقد بأن قبوله لهذه الصيغة ومحاولة اقناع البابا لقبولها أيضا سوف يسهل بلا شك عملية الوحدة[1] فى الكنيسة وفى الإمبراطورية . وهنا نرى الدور الذى تلعبه السلطات الحاكمة فى كثير من الأحيان لاستخدام الدين والمذاهب الدينية لأغراض سياسية بحتة .

لقد وصل الرهبان الأربعة إلى روما فى يونيو ٥١٩ م ، وبقوا فيها إلى أغسطس ٥٢٠ م . استقبلهم البابا هورميسداس واستمع للشرح الذى قدموه عن تعاليمهم فرأى فيها نوعاً من العنف وأن الوقت غير مناسب لبحثها ولم يعط أى قرار فى الأمر . ولكن الأخوة السكيثيون تميزوا بالمثابرة والجهاد وعدم الفشل والتراضى فى حياتهم ونضالهم لنشر رسالتهم ، ولذلك فقد نشروا تعاليمهم بين الاكليروس وفى مجلس الشيوخ الرومانى . وفى روما تقابلوا مع شخصية مشهورة ومعروفة فى الأوساط الدينية والسياسية فى ذلك الوقت وهو دنيس الصغير (Denis le. Petit) وكان هو أيضا مواطناً سكيثياً من نفس البلد الذى جاء منها هؤلاء الرهبان . ولذلك فقد التمس الرهبان من دنيس الصغير التكرم بالقيام بالترجمة اللاتينية للخطاب الثالث للقديس كيرلس الذى أرسله لنسطوريوس والذى كان يحتوى على الحرمانات الاثنى عشرة وكذلك ترجمة رسالة بروكلوس إلى الأرمينيين[3] وفى نفس الوقت ودون أن يهملوا أى فرصة للنجاح ، فقد اتصلوا ببعض الأساقفة المنفيين فى مقاطعة ساردينة وشرحوا لهم تعليمهم الخاص بأن (واحداً من

(1) Tixeront 3. 132.
(2) P.L., 68, 509, 512 - 513; 68, 490; 85, 1, Col. 93 - 96; Tixeront. 3. 132.
(3) F.X. Murphy. P. 59 - 61. 4. 430; P.L., 67, 2.

الثالوث تألم فى الجسد) ، والتمسوا منهم بأن يعلنوا عن رأيهم فى هذه العقيدة[١] ، وكان القديس الأفريقى العالم فولجنس (Fulgence) واحداً من هؤلاء الأساقفة المنفيين فى سيسيليه (Sicile) فكتب خطاباً عقائدياً مطولاً يشرح فيه موافقته على أرثوذكسية هذه العقيدة وأنه لا يمكن إنكار حقيقة أن الابن الذى تألم : الكلمة الذى صُلبِ وتألم فى جسده هو واحد من الثالوث المقدس[٢] .

كان قبول المعلم الأسقف الأفريقى لعقيدة (واحد من الثالوث تألم) فى الجسد وتأييده لأفكار جماعة السكيثيين يعتبر نجاحاً عظيما لقضيتهم . ولذلك فقد بدأوا من جديد المحاولة لدى البابا لكى يقبل هذا التعليم . على أن البابا ضاق بالأمر ولم يستطع أن يحتمل الحاحهم المتواصل فأمر بطردهم من مدينة روما[٣] ثم كتب إلى كل من يوستينانوس ورئيس الأساقفة ابانيفانيوس يعلن لهما بأن الصيغة التى يقدمها الأخوة السكيثيون لا فائدة من التمسك بها ويجب علينا أن نتمسك فقط الآن بالصيغ والتعبيرات الإيمانية التى ذكرها القديس ليون فى رسالته العقائدية لرئيس أساقفة القسطنطينية ثم بقرارات مجمع خلقدونية[٤] . لقد رفض البابا قبول تلك الصيغة ولكنه لم يحكم بطريقة واضحة وصريحة برفضها .

عندما رجع الرهبان المرسلون من روما إلى القسطنطينية قصّوا على رئيسهم يوحنا ماكسيانوس (Jean Maxence) المعاملة السيئة التى عاملهم بها البابا وكيف طردهم طرداً من المدينة . ولذلك فقد كتب يوحنا ماكسيانوس رسالة شديدة وعنيفة فى أسلوبها للبابا هورميسداس[٥] .

وفى نفس الوقت كان الوفد المرسل من قبل روما مشغولاً جداً بمراقبة تنفيذ المعاهدة

---

(1) F.X. Murphy. 59 - 61; A Fliche et. V. Martin. Fliche et Martin. 4. 431; Vie de Saint Fulgence évè de Ruspe, 16. P.L., 6587; G. Lapeyre, Saint Fulgence de Ruspe Paris 1929. P. 156 - 159; P.L., 68, 490.

(2) Fliche et Martin. 4. 430; Tixeront 3. 132 P.L., 65 P. 442; Lapeyre op. cit., P. 224 - 225, 271 - 274; Epist. 57, P.L., 65, 451 - 458; Tixeront. 3. 132.

(3) A. Fliche et V. Martin. 4. 430; F.X. Murph. 59 - 61; Jean Maxence, Ad Epistolam Hormisdast Aco. 4, 2, 46 - 62.

(4) Colletio Avellana,m 236 et 237. (فى مارس ٥٢١)

(5) F.X. Murphy. p. 60; Jean Maxence. Ad Epistolam Hormisdas Responsio; Aco 4, 2. 46 - 62; P.L. 86. P. 93; Fliche 4, 430.

التى عقدها مع كنيسة القسطنطينية والكنائس الشرقية . لأنه كان لابد أن يزور هذا الوفد الكنائس لكى يرى الأبروشيات التى قبلت والتى رفضت هذه المعاهدة . فلقد ظهرت فى المنطقة كلها روح من التردد والتحفظ والمقاومة لهذه المعاهدة التى تشترط حذف أسماء بعض الأساقفة والأباطرة الذين وقعوا على الهينويتكون لرسالة زينون للوحدة ، من الصلوات . وهذا يعنى حذف كل أسماء الأساقفة من سنة ٤٨٤[1] ولذلك فإن معاهدة الصلح هذه بين كنيسة روما وكنائس الشرق وجدت مقاومة عنيفة كادت تؤدى إلى ثورة شعبية فى كل المنطقة ، فى انطاكيا وفى أورشليم وفى مصر* .

على أن هذه الاضطرابات والثورات الشعبية فى منطقة الشرق لم تثبط من عزم الإمبراطور يوستينانوس والأخوة السكيثيون أو تجعلهم يتهاونون فى الوصول إلى الهدف الذى وضعوه أمام أنظارهم وهو توحيد العقيدة والإمبراطورية من الناحية الدينية والسياسية . ولذلك فإن الإمبراطور يوستينيانوس الذى تربع على عرش الإمبراطورية البيزنطية فى ربيع سنة ٥٢٧ وجد فى جملة « واحد من الثالوث تألم فى الجسد » وسيلة عقائدية مقنعة قد يمكن أن تقود إلى وحدة الكنيسة فى الإمبراطورية أى توحيد جماعة الخلقدونيين واللاخلقدونيين . ولهذا السبب فقد أمر بعقد مؤتمر أو مجمع للحوار بين المونوفيسيين والخلقدونيين فى سنة ٥٣٣ . ورجع الإمبراطور إلى هذه الجملة « واحد من الثالوث قد تألم فى الجسد » لكى يسهل عملية التوحيد بين الحزبين ، فمع أن المؤتمر لم يعط الثمرة التى كان يتوقعها الإمبراطور بين الحزبين فى المشاكل السياسية والعقائدية الأخرى ، إلا أن البابا يوحنا الثانى وكذلك أيضا المجمع الخامس العام فى القسطنطينية فى سنة ٥٥٣ قد قبل جملة « واحد من الثالوث تألم فى الجسد » كجملة أرثوذكسية[2] لا غبار عليها . فبعد انفضاض المجمع الذى أمر بعقده البابا لتسوية المشاكل العقائدية

---

(1) Colletio Avellance (31. 3. 520) 235.

* للتوسع فى دراسة موضوع مقاومة معاهدة سلام ٥١٩ : روما والقسطنطينية ادرس :

Fliche. Martin. 4. 430 - 433; L. Duchesn Eleglise au 6e Siecle. P. 52; Tafrali, Thessani - que des orignes au 14 Siecl. P. 255 - 256, 2565 - 2568; Michel Le Syrien. édit Chabott. 2. 179; Mansi T, 9, Col. 348 - 365; Jean Maspero, Hist., des Patri.. d'Alex.. 73, F.X. Murphy. 60 - 63; Mansi, 9. 348.

(2) J. Tixeront. 3. P. 132 - 133;

بين الحزبين ومنها مشكلة آلام اللاهوت فقد أعلن البابا منشوراً يقول فيه : « فليحرم كل من ينكر بأن يسوع المسيح ابن الله ، إلهنا المتجسد الذى صار إنساناً وصُلب وهو « واحد من الثالوث المقدس فى جوهره » . ثم كتب الإمبراطور يوستينيانوس للبابا يوحنا الثانى بأن يوافق على هذه الصيغة العقائدية . تردد البابا بعض الوقت[1] ولكنه عندما علّم بأن المعلمين الأرثوذكسيين فى الغرب وافقوا على أرثوذكسيتها وافق هو أيضا ثم كتب إلى الإمبراطور يوستينيانوس وإلى مجلس الشيوخ فى روما بهذا القرار[2] . ولقد اكتشف بعض المعاصرون وثيقة خاصة بهذا الموضوع وهى عبارة عن رسالة وجهها البابا يوحنا الثانى إلى مجلس الشيوخ الرومانى . ولقد حاول أن يقدم فى هذه الرسالة الشواهد الكتابية التى استند عليها فى تأييده عقيدة « واحد من الثالوث تألم فى الجسد » ومن الغريب المدهش أن البابا يوحنا يقتبس الحرمان الثانى عشر للقديس كيرلس والذى يقول « وليكن محروماً كل من ينكر أن الكلمة الله تألم فى جسده وصُلِبَ فى جسده وذاق الموت فى جسده ... » فإن هذه هى المرة الأولى التى تعترف فيها الكنيسة الكاثوليكية بطريقة رسمية ومن السلطات العليا (البابا نفسه) منذ بدء الانشقاقات الكرستولوجية ، بقبول الحرمان الثانى عشر الذى نطق به القديس كيرلس ضد نسطوريوس فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ .[3] تعد هذه النتيجة التى توصل إليها يوستينانوس والأخوة السكيثيون ثمرة طيبة للوحدة التى كان يسعى إليها فى ذلك الوقت كل من الإمبراطور يوستينوس ويوستنيانوس ثم الأخوة السكيثيون وآخرون كثيرون . ولكن هذه العقيدة « واحد من الثالوث تألم فى الجسد » لم تكن إلا مشكلة عقائدية واحدة من بين المشاكل الكرستولوجية العديدة . فلقد ظهرت عدة مشاكل كرستولوجية عديدة ومعقدة عرضت الحزبين الخلقدونى واللاخلقدونى إلى الانشقاق والابتعاد الواحد عن الآخر ، بل ظهرت تعاليم متنوعة مختلفة مزقت وفرّقت أعضاء الحزب الواحد ، فانقسموا هم أيضا إلى أحزاب وطوائف مختلفة يحارب بعضها بعضاً وهذا ما حدث

---

(1) J. Tixeront. 3. P. 132 - 133; P.L., 66, 14..

(2) .... P.L., 67, 889...;
.... 66,, 17..; 20..

(3) J. Daniélou et H. Marron. Nouvelle Hist. de L'Eglise 1. Des Origines à Gregoire le Grand. P. 409 - 411; Libelli Johannis Maxentii dans ed Schwattz, Acta. Conciliorum oeuvm. T. 4, V, 2, 3/62. C. Bihlmeyer - H. Tuchle. P. 372 - 373;

تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة : يوحنا لورنس فان موسهيم ص ٢٤٤ .

فى الحزب المونوفيسيتى المصرى الذى قدم بعض التعاليم التى بلبلت أفكار المونوفيسيين وألقت بهم فى دوامة قادتهم إلى الانقسام المرير العنيف فى داخل الحزب الواحد ، وهى التعاليم الخاصة بطبيعة المسيح أو بجسد المسيح البشرى : والسؤال الرئيسى الذى حاول بعض المونوفيسيين حله هو : هل كان جسد المسيح قابل للفساد والانحلال الطبيعى ؟

٢ - هل كانت طبيعة المسيح قابلة للفساد (الانحلال الطبيعى)

كان هذا هو السؤال الرئيسى الذى طرحه حزب يوليانوس على جماعة أو أتباع المعلم الأنطاكى ساويرس . ومن هذا السؤال ظهرت وتفرعت عدة تساؤلات أخرى عديدة وكثيرة . فلقد سبق أن رأينا فى الصفحات السابقة المحاولات الضخمة التى بذلها الأخوة السكيثيون والإمبراطور يوستينوس فيوستيناسوس وجماعات أخرى لإرجاع السلام وإعادة العلاقات المقطوعة من جديد فى سنة ٤٨٤ بسبب رسالة زينون (الهينوتيكون) وتوقيع أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية على هذه الرسالة . وقد عاد السلام ولو حسب الظاهر فى مناطق محدودة قليلة على أساس عقائدى وهو أن (واحداً من الثالوث قد تألم فى الجسد) ، ولقد رأينا بأن الحوار العقائدى الخاص بهذه المشكلة بدأ فى بداية سنة ٥١٨ ، يعنى فى الشهور الأولى من حكم الإمبراطور يوستينوس الذى كان يريد توحيد الكنيسة والإمبراطورية ولذلك فقد طلب من البابا هورميسداس عمل اللازم لإرجاع السلام بين كنائس الشرق وكنيسة روما . ولقد أرسل البابا فعلاً وفداً لدراسة مشروع معاهدة إرجاع الشركة بين روما وبين هذه الكنائس .

ومع أن الإمبراطور يوستينوس كان يسعى مخلصاً وجاهداً وكذلك يوسيتينانوس بعده لتوحيد الكنيسة والإمبراطورية ، إلا أنه قام حال وصوله إلى السلطة بإصدار بعض القرارات والقوانين التى تحد من حرية جماعة المونوفيسيين ، كما قام فعلاً بحملة اضطهاد عنيفة ضدهم[1] . فلقد ضُيق الخناق على جماعة المونوفيسيين وقادتهم وتحمل بعضهم هذا الاضطهاد حيث كانوا واضطر البعض الآخر إلى الهروب وخاصة إلى الإسكندرية قلعة المونوفيسية[2] ومن بين الذين هربوا من جراء هذا الاضطهاد

(1) Michel le Syrien. édit. Chabot. T. 2, P. 180; Chronique Syrienne, a 846; Fliche et Martin 4, 426.

(2) Mansi, T, 7, Col. 578, 1068 - 1082, 1093 - 1138.

القاسى المعلم الأنطاكى المونوفيسيتى ساويرس ويوليانوس الهيلكارنسوسى . وعلى ما يعتقد البعض بأن الكونت فيتليانوس (Vitalien) قد التمس من الإمبراطور بأن يُقطع لسان ساويرس حتى لا ينادى بتعاليمه المونوفيسية فيما بعد[1] . ومن المشكوك فيه أن هذا الطلب تم تنفيذه ، ولكن الأمر الأكيد أن ساويرس ترك أنطاكية وانطلق هارباً إلى الإسكندرية[2] .

ففى نفس الوقت الذى كان يناقش فيه الوفد الرومانى المرسل من قبل البابا هورميسداس مع كنيسة القسطنطينية وممثلى الإمبراطور يوستينوس موضوع إرجاع العلاقات المقطوعة بين الشرق والغرب . وصل إلى الإسكندرية عدد كبير من المونوفيسيين وعلى رأسهم المعلمان ساويرس الأنطاكى ويوليانوس الهيليكارنسوسى . وكما حدث عند وصول الوفد الرومانى إلى القسطنطينية إذ سأل بعض الرهبان السكيثيين ممثلى روما عن آرائهم فى عقيدة « واحد من الثالوث قد تألم فى الجسد » فإن بعض الرهبان سألوا[3] هؤلاء الأخوة اللاجئين فى مصر من جراء الاضطهاد الذى شنه الإمبراطور يوستينوس ضدهم[4] ، عن رأيهم : هل طبيعة المسيح قابلة للفساد أو الانحلال الطبيعى ؟ وتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة متنوعة مختلفة مثل هل كان المسيح يجوع ويعطش ويشعر فعلاً بالجوع والعطش والآلام ؟ وهل يمكن القول بأن جسد المسيح كان قابلاً للانحلال الطبيعى والتلاشى كباقى الأجساد فى القبر ؟ وهل وُلِدَ المسيح بطريقة طبيعية أو غير طبيعية ؟ وهل كان جسد المسيح جسداً حقيقياً خاضعاً لقوانين الطبيعة يُلمس ويُرى ، له وزن وحجم ؟ أم كان عبارة عن مظهر للجسد ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها طُرِحت فى مصر ، قلعة المونوفيسية والمدافعة عنها بكل قواها ومن زمن طويل . ولقد طُرِحت على ساويرس وأتباعه وعلى يوليانوس وأتباعه ، وكل منهما يعلم ويتمسك بفخر واعتزاز بتعاليم القديس العظيم كيرلس . وهنا يلاحظ الدارس المدقق الفرق الكبير بين الهدف الذى كان يريد الرهبان السكيثيون الوصول إليه من سؤالهم للوفد الرومانى بأن « واحداً من الثالوث قد تألم فى الجسد » وهو الوصول إلى وحدة

---

(1) Martin, et Fliché. 4, 427.
(2) ....
Jean Maspero, Hist des Patr., d'Alex. P. 70.
(3) F.X. Murphy. P. 49, 51, 60 - 62.
(4) Tixeront. 3. P. 114 - 117.

التعليم والبحث عن طريقة تعليمية مدعمة بوثائق عقائدية راسخة أكيدة للتوفيق بين تعاليم القديس كيرلس وتعاليم القديس ليون لتوحيد التعليم والعقيدة فى الإمبراطورية . وخاصة توحيد الحزبين المتصارعين : حزب الخلقدونيين وحزب اللاخلقدونيين . أما ما حدث فى مصر فهو عكس ذلك تماماً . فإن السؤال أو الأسئلة التى طُرِحت فيما يخص فساد أو عدم فساد طبيعة المسيح قد سأله اللاخلقدونيون لأنفسهم . فإن ساويرس ويوليانوس كانا لاخلقدونيين متحمسين . ونلاحظ بأن مجهود الإمبراطور والإخوة السكيثيين نحو الوحدة وصل فعلاً إلى نتيجة عملية وهى توحيد ولو حسب الظاهر للكنائس المنقسمة فى الحزبين الرئيسيين . أما الأسئلة التى سألها أفراد الحزب الواحد (المونوفيسيتى) بشأن يخص فساد أو عدم فساد الطبيعة البشرية فى المسيح فقد قاد إلى الانقسام والتمزق فى داخل الحزب المونوفيسيتى الواحد .

١ – جواب ساويرس المونفيسيتى المعتدل

بالنسبة للسؤال الأول الذى يلخص تقريبا بقية الأسئلة التى طرحناها هنا وهو هل طبيعة المسيح كانت قابلة للفساد أو الانحلال الطبيعى ؟ كان جواب المعلم ساويرس الأنطاكى صريحاً واضحاً وهو بالإيجاب . والمقصود من هذا السؤال ومجموعة الأسئلة التى طُرحت سابقاً هل كان المسيح خاضعاً لقوانين الطبيعة ومتطلباتها : مثل العطش والجوع والفرح والحزن والآلام والتجارب العامة إلخ ؟ . فهذه المشكلة العقائدية هى تقريباً نفس المشكلة التى أثارها جماعة السكيثيون مع الوفد الرومانى : فيما إذا كان « واحد من الثالوث قد تألم فى الجسد » . على أن السؤال الذى سُئل فى مصر قد طُرِح بطريقة أخرى تختلف عن سابقه فالسائل هنا يسأل إمكانية حدوث هذا . فكأنى به يسأل مستغرباً بالقول هل من الممكن أن الإله العظيم خالق السماوات والأرض الذى تجسد فى بطن العذراء مريم أن يكون عرضة فى جسده المتجسد للتحلل الطبيعى والزوال الذى يتعرض له كل إنسان بشرى ؟ لقد سبق أن رأينا بأن ساويرس الأنطاكى كان مونوفيسيا متعدلاً يتمسك بتعاليم القديس العظيم كيرلس . ولذلك أجاب على هذا السؤال وعلى الأسئلة الأخرى التى ذكرت بوضوح كامل أن جسد المسيح كان جسداً حقيقياً بشرياً حُبِلت به مريم العذراء بقوة تدخل الروح القدس : الأقنوم الثالث من الثالوث المقدس . وبما أن هذا الجسد الذى بدأ تكوينه

الطبيعى فى بطن العذراء مريم ومن العذراء : الإنسان البشرى ، فهو إذن جسد بشرى خاضع لكل القوانين الطبيعية التى يخضع لها كل إنسان بشرى . إذن فقد كان معرضاً مثل كل إنسان بشرى للجوع والعطش للآلام والحزن ، للفرح ، وبالجملة كان معرضاً لكل التجارب التى يتعرض لها أى إنسان[1] ، لأنه كان بالحقيقة إنساناً[2] وكان يشبه إخوته البشر فى كل شيء ما عدا الخطية . وقد استطاع بقوة الروح القدس الساكن فيه وبالكلمة اللوغوس الذى تجسد أيضا فيه أن يحارب ويناضل ضد الجسد الذى كانت له ميوله ورغباته ودوافعه ، التى كانت تعمل فى نفس الإنسان يسوع الناصرى محاولة أن تدفعه فى كل لحظة لعمل ما يخالف إرادة الله الآب . لكنه بالرغم من ذلك كله فإن الابن اللوغوس الكلمة المتجسد استطاع فى كل الظروف المختلفة المتنوعة التى مرّ فيها أن يخرج منتصراً غالباً على ميول الجسد ورغباته وشهواته . بل إنه الوحيد الفريد الذى استطاع أن يقول عن حق « من منكم يبكتنى على خطية » يو ٨ : ٤٥ ، عب ٢ : ١٧ - ١٨ .

صرح ساويرس معلم أنطاكية الإسكندرى أن المسيح كان بالحقيقة إنساناً معرضاً لكل التجارب وخاضعاً لقوانين الطبيعة التى خلقها ، وكان فى نفس الوقت إلهاً كاملاً يعمل فى هذا الإنسان عن طريق الاتحاد القوى العميق بين الناسوت واللاهوت .. لم يقبل يوليانوس وأتباعه فى الإسكندرية فكرة أن المسيح كان معرضاً للتجارب البشرية وللآلام وللفرح أو العواطف التى يمر بها كل إنسان . كما لم يقبلوا فكرة أن جسد المسيح كان قابلاً للتحلل أو الفساد الطبيعى الذى يتعرض له أى جسد ولذلك فقد لصق بساويرس وأتباعه اسم فتارتولاترى أى العابدون للقابل للفساد أو الانحلال الطبيعى . أما يوليانوس وأتباعه فقد لقبوا بدورهم aphthartodocétes أى العابدون لغير القابل

(1) Fliche et Martin. 4. 433; Zacharie de Mitylene, His. eccl., 9, 9; Michel le Syrien édit Chabot, T 2. P. 224 - 225, 251, 272...; Jean Maspero. 88 - 91; Tixeront. 3. 114 - 117.

(2) C. Bihlmeyer. H. Tu. Chle. Hist.... 358 - 360. J. Danielou.. 408 - 412; Tixeronot 3. 114 - 116,

للفساد أو الانحلال[1] وهنا بدأ الانقسام العظيم بين أعضاء الحزب الواحد المونوفيسيتى . لكن ما هو جواب يوليانوس وأتباعه على السؤال الذى طُرِحَ عليهم فى الإسكندرية والخاص بقابلية طبيعة المسيح البشرية للفساد ؟ لقد حاول يوليانوس وأتباعه أن يجاوبوا هم أيضا بدورهم على نفس السؤال . وكانت إجابة هذا الحزب المونوفيسيتى المتطرف سبباً فى انقسام الكنيسة فى مصر إلى عدة أحزاب مونوفيسية . وفى حقيقة الأمر يجد دارسو تاريخ العقائد الكرستولوجية (الخاصة بشخص المسيح) بأن هذا الانشقاق الذى تعرضت له الكنيسة بسبب المجادلات لم يكن الأول الذى قسم هذا الحزب الواحد المونوفيسيتى . على أنه كان تقريباً الصراع الكرستولوجى العقيدى الأول الذى قام بين جماعة المونوفيستيين بطريقة عنيفة واسعة وعلى الصعيد الدولى الكنسى . فلقد تعرضنا سابقاً لبعض الصراعات فى جماعة اللاخلقدونيين مثل طلبهم عدم التعامل مع الخلقدونيين أيام الأسقف الخلقدونى سالوفاكيول ، كما حدث انشقاق آخر عندما قبل البعض رسالة الاتحاد أيام الإمبراطور ورفضها البعض الآخر .

فلنرجع الآن إلى السؤال عن مفهوم يوليانوس الهيليكارنسوسى بفساد أو عدم فساد جسد المسيح .

لا نعرف بالضبط من أثار هذا السؤال ، هل هم المونوفيسيون المصريون الرهبان أم المصريون العلمانيون أم سأله واحد من نفس فريق يوليانوس لأتباع ساويرس أم سأله أتباع ساويرس لأتباع يوليانوس . كل ما نعرفه أن هذا السؤال قد أثاره اللاخلقدونيون بغرض معرفة إمكانية تحلل وفساد الطبيعة البشرية للمسيح ومدى تعرضه للخطأ والتعب .

---

(1) C. Bihlmexen - H. Tuchle. P. 358 - 360; Helelé 9.875;

تاريخ الكنيسة المسيحية ... اللسندروس ص ٢٧٢

تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة .. يوحنا لورنس فان موسهيم ص ٢٤٩ — ٢٥٠

F.X. Murphy. p. 50 - 51; Green. op. cit. p. 302.

٢ - جواب يوليانوس اللاخلقدوني

يعتقد يوليانوس المونوفيستي اعتقاداً راسخاً بأنه في اللحظة الأولى من الحبل الذي تمّ عن طريق تدخل الروح القدس الأقنوم الثالث من الثالوث المقدس ومن مريم العذراء ، تمتّ عملية اتحاد قوية عميقة بين العنصرين المختلفين . وبهذا الاتحاد وبفضله (وبحسب المفهوم اليوليانوسى) ترفّعت الطبيعة البشرية الناسوت ، فوق كل قوانين الطبيعة[1] ونواميسها ومطالبها ومستلزماتها التى يخضع لها الإنسان العادى . فإن عملية التجسد وسكن الكلمة فى الإنسان يسوع المسيح ليصبح يسوع ابن الله إنساناً يعنى أن الناسوت أصبح خاضعاً جزئياً وكلياً ، عملاً وفكراً وحركة ونشاطاً لرغبة وإرشاد وقيادة اللوغوس الساكن فيه : أو بمعنى آخر أصبحت الطبيعة الإنسانية ليسوع المسيح بعد عملية التجسد لا تعمل إلا ما يأمر به اللوغوس : اللاهوت . كما أن ناسوته قد تميز بميزات مختلفة متنوعة عن ما تتميز به كل طبيعة بشرية أو كل إنسان بشرى عادى . ولهذا السبب فإن طبيعته كانت غير قابلة للفساد أو التحلل الطبيعى الذى تتعرض له كل طبيعة بشرية[2] ، ويقدم لنا المعلم ليونس البيزنطى (Léonce de Byzance) بعضاً من تعاليم يوليانوس وأتباعه بإيجاز : إن يوليانوس يعتقد بأن طبيعة المسيح البشرية كانت بارة نقية خالية من كل عيب ، وعندما ولد يسوع من العذراء القديسة مريم متحداً بالكلمة ، فإن طبيعته كانت تشبه طبيعة آدم قبل السقوط كما أنها تشبه أيضا طبيعتنا بعد القيامة المجيدة وبالتالى فلا بكاء ولا دموع . فإن هذه الطبيعة لا تشعر بالآلام أو الحزن أو الفرح أو التجارب ، كما أنها غير مائتة . فإذا كان المسيح يظهر فى بعض الأحيان بأنه تألم ، ففى حقيقة الأمر أن آلامه راجعة لرغبته أن يتألم مع المتألمين لكنه ليس ملزماً بحسب ناموس الطبيعة أن يتألم . فهو تألم لأنه أراد ذلك[3] ولقد قبل الإمبراطور يوستينانوس هذا التعليم وشجعه كثيراً . كما أنه أصدر فرماناً رسمياً إمبراطورياً إلى كل الكنائس والأساقفة لنشره والعمل به ، ولكن لم ينفذ

---

(1) Tixeront 3. 114 - 117.
(2) Tixeront 3. 115.
(3) Tixeront 3. 114 - 118.

هذا الأمر لأن الإمبراطور مات بعد ذلك مباشرة فى سنة ٥٦٥[1] .

فبحسب مفهوم يوليانوس أن اللاهوت لا يتألم . وبما أن اللاهوت الكلمة حلّ فى الطبيعة البشرية الناسوت عن طريق الاتحاد القوى ، فإن المسيح لا يشعر بأى حال من الأحوال بالآلام لأنه متحد باللاهوت . فإذا قبلنا فكرة أن المسيح كان يتألم ويفرح ويتمتع بالخواص والمميزات والصفات التى يتميز بها اللاهوت ، فإننا نتكلم عن كل طبيعة على انفراد ، نتكلم عن الكلمة من ناحية وعن جسد الإنسان من ناحية أخرى . أليس هذا هو التعليم النسطورى ؟[2]

إذا كان يمكن للمسيح أن يتألم إذا أراد ذلك برغبته وليس لأن تكوينه الطبيعى كان يفرض هذه الآلام أو هذه الأحاسيس التى يشعر بها ويتألم فيها أو يفرح بها كل إنسان طبيعى . لأنه كان غير خاضع لنواميس وقوانين الطبيعة[3] وبهذه الطريقة أصبحت آلام المسيح آلاماً ظاهرية وليست حقيقية وهذا ما يدعى باليونانية Phantasiate . ولقد كتب يوليانوس مجلداً يشرح فيه تعاليمه هذه وأرسله إلى بعض الأساقفة ، كما أنه أرسله إلى ساويرس نفسه وإلى كل الأديرة . ومن الغريب أن هذا المكتوب حاز نجاحاً عظيماً وخاصة بين الرهبان المتعصبين . ولقد حاول ساويرس الذى كان يجول فى ربوع مصر واعظاً ومعلماً ومناقشاً أن يرجع يوليانوس إلى الطريق الصحيح من الناحية العقائدية ولكنه لم يفلح . . فقد انتشرت تعاليم يوليانوس بطريقة سريعة ومكثفة فى كل مصر السفلى . كما أن أتباع ساويرس اضطروا إلى الهروب فى الصحراء . وفى سنة ٥٣٥ اضطر أتباع ساويرس أن يلتمسوا من والى مصر بأن يسمح لهم ببناء بعض الكنائس بدل الكنائس التى استولى عليها جماعة يوليانوس[4] .

لقد انتشرت تعاليم يوليانوس وأتباعه فى مصر السفلى بصفة خاصة وفى كل مصر

---

(1) Tixeront 3. 115 - 117; Leonce de Byzance Loc, Cit., Col. 1320 - 1340; P.L. 36,1 Col, 44.

تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة : يوحنا لورنس فان موسهيم ص ٢٤٩ .

(2) Fliche et Martin. 4, 433; Zacharie de Mityléne Hist., His. eccl 9, 9; Michel le Syrien, edit Chabot T. P. 2, 224 - 225, 250.

(3) Fliche ... 4, 433; Jean Maspero, op. cit., P. 93 - 94, Histoire Copte des Patriarrches d'Alexa... dans Patrologia Orientalis T., 1, P. 454.

(4) Hist., Copte des Patriarches d'Alex..., dans, Patrol. Orient, T, 1, P. 458; Michel le Surien, edit Chabot T, 2. P. 125, Fliche et Martin, P. 4, 439 - 434.

بصفة عامة . وعلى قدر ما انتشرت هذه التعاليم اليوليانوسية على قدر ما زاد عدد المذاهب والأحزاب والشيع والطرق المختلفة المتنوعة تحت هذا الحزب ، فلقد وصل عدد الطوائف اليوليانوسية فى هذه الحقبة وفى الحقبة التالية حوالى عشرين[1] طائفة مونوفيسية متطرفة فى مصر . وكان لكل طائفة تعليم خاص وعقيدة خاصة تميزها عن الطوائف الأخرى . ويعوزنا الوقت لو دخلنا فى الحديث عن كل طائفة وتعاليمها الخاصة بطبيعة شخص الرب يسوع المسيح . ولكن سنذكر البعض فقط على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .

(١) أتبـاع قيانـوس

انقسمت جماعة أو أتباع يوليانوس إلى طوائف عديدة ومنها الحزب الرئيسى أو أتباع قيانوس . فبعد أن انتشرت التعاليم اليوليانوسية فى مصر كان لابد من إقامة أسقف لهم . فعندما توفى تيموثاوس الثالث رئيس أساقفة الإسكندرية فى سنة ٥٣٥ كانت الكنيسة المصرية تمرّ فى أزمة الانقسام المرير المحزن وكان من المستحيل انتخاب أسقف واحد لجماعة يوليانوس ولجماعة ساويرس . ولذلك فقد انتخبوا أسقفين . فانتخب أتباع ساويرس ثيودوسيوس وانتخب أتباع يوليانوس قيانوس[2] ولذلك فقد أُطلق اسم هذين المعلمين على الطائفة . وقد كتب الكاهن تيموثاوس عنهما فى القرن السابع الميلادى[3] .

ولقد علّم أتباع قيانوس أنه كان من الضرورى المحتم أن يكون جسد المسيح غير مخلوق فهو جسد أبدى لا بداية له فى الزمن مثل اللاهوت تماماً ، فلا فرق فى البداية بين وجود الكلمة اللوغوس الذى كان فى حضن الآب منذ الأزل وبين وجود الجسد الناسوت الذى تجسد فيه المسيح . ولذلك فقد دُعيت هذه الجماعة بالكلمة اليونانية التى تعنى التجسد . سميت باليونانية Actistètes .[4] .

---

(1) J. Daniélou et H. Marron. op. cit. P. 405.
(2) C. Bihlmeyer - H. Tuchle. P. 358 - 359.
(3) J. Tixeront 3. 116 - 117; P. G. 80. T, Col. 44.
(4) C. Bihlmeyer - H. Tuchle. 358 - 359; J. Tixeront 3. 116 - 117.

(٢) طائفة التغيير الكلي

علّمت هذه الجماعة بأن الكلمة اللوغوس أخذ هو نفسه من نفسه جسداً وتحوّل فيه إلى جسد . فإن هذا الجسد الذى سكن فيه اللوغوس لم يأتِ من مصدر آخر بل من اللوغوس نفسه . ولقد تعرض القديس كيرلس فى كتاباته لهذا الموضوع وخاصة فى الرسالة التى كتبها إلى زميله أكاكيوس الميلتينى فى حديثه عن الهرطقات القديمة . وكيف أن البعض علّم بأن الكلمة عمل لنفسه جسداً من اللاهوت . ويقتبس كيرلس تعليمهم الذى نترجمه بتصرف . إن (الكلمة) المولود من الله الآب قد تحول هو نفسه إلى طبيعة بشرية . تحول إلى عظم وعصب ، وجسد ، ففى ميلاده البشرى من عذراء تحول إلى هيئة مخجلة[1] ولقد ذكرهم أيضا نسطوريوس فى كتابه الذى يدعى هيراقليدوس (Héraclide) فيقول (ترجمة موجزة جداً بتصرف) [لقد تحول أو صار الله فعلاً جسداً حقيقياً ، فمع أنه ظل بالحقيقة وبالطبيعة الله إلا أنه تحول إلى إنسان مثل الماء المتجمد ، فمع أنه يظل ماء ويدعى ماء متجمداً فهكذا الله الذى تحول أو تغير إلى إنسان . فكان يعمل ويتصرف كإله ومع ذلك كان يعمل ويتصرف كإنسان . كان يتألم مثل ما يتألم الجسد ويجوع ويعطش ويتعب . ومات حقيقة لأنه إنسان .. فمن اللحظة الأولى التى تحول فيها إلى جسد كان يتحمل فعلاً ضعف وعجز الجسد ... فلقد ظهر لآباء العهد القديم وقديسيه بطبيعة ملموسة منظورة[2]] من هذين الاقتباسين (القديس كيرلس ونسطوريوس) . يتضح لنا بأن هذا التعليم كان معروفاً فى الكنيسة المسيحية قبل ظهور جماعة التغيير الكلى وجماعة يوليانوس . وأن هذه الطوائف أعطت لهذه التعاليم روحاً جديدة .

(٣) السمائيون

يمكننا أن نسمي هذه الطائفة المونوفيسية المتطرفة بجماعة السمائيين ، فلقد علّم أتباع هذه الطائفة بأن جسد المسيح كان جسداً حقيقياً فهو ليس من جوهر الله ولا من

---

(1) D.T.C. Ceuthés et Eutychianis me, P. 16.04; Mansi. T.5, Col. 319 - 320; P.G. T, 76. Col. 1140.

(2) D.T.C. ibid., 1604.

جوهر الكلمة ، بل يوجد اختلاف عظيم بين جوهر جسد المسيح السماوى وجوهر الكلمة اللاهوتى . فإن جوهر جسد يسوع يختلف تماماً عن جوهر اللاهوت اللوغوس من ناحية ومن ناحية أخرى يختلف تماماً عن جوهر جسدنا نحن البشر . وعلى ما يعتقد البعض بأن أوطيخا علّم بهذه النظرية ثم أنكرها ثم علم بها ثم أنكرها إلخ ... إن تيموثاوس اللور (القط) كتب وهو فى المنفى حوالى سنة ٤٦٠ - ٤٦٤ عدة رسائل ضد كاهنين مصريين : إشعياء وثيوفيلوس اللذين أنكرا فى تعليمهما بأن الله الكلمة صار شبيهاً بنا فى جسده أو تجسده[١] .

(٤) مشكلة علم أو جهل يسوع للأحداث

إن هذه المشكلة الخاصة بموضوع علم وجهل يسوع الناصرى بالأمور المستقبلية وبأمور أخرى لم تكن مشكلة جديدة فى تاريخ الفكر المسيحى الخاص بشخص الرب يسوع المسيح . فقد تعرض عدد كبير من آباء الكنيسة لمعالجة هذا الموضوع وكانت لنا الفرصة أن نتحدث عنها أيضا[٢] ولقد أُثيرت هذه العقيدة من جديد فى أيام الانقسام الذى حدث بين جماعة ساويرس وجماعة يوليانوس . فإن واحداً من المونوفيسيين من أتباع حزب ساويرس ويدعى الشماس ثيميستيوس (Themistius) قال إذا كان يسوع معرضاً للضعف البشرى من آلام وجوع وعطش إلخ .. فإنه كان أيضا كإنسان يجهل بعض الأمور . ولقد رجع لكى يؤيد نظريته إلى الأناجيل (مرقس ١٣ : ٣٢ ، متى ٢٤: ٣٦) . وبما أن يسوع كان إنساناً حقيقياً وشبيهاً بنا ونحن نجهل أشياء كثيرة - وخاصة المستقبليات - فإن يسوع كان هو أيضا يجهل بحسب الطبيعة البشرية بعض الأمور التى أُخفيت عنه كإنسان[٣] . ولم يقبل هذا التعليم تيموثاوس الثانى رئيس أساقفة الإسكندرية . ومن الغريب أن هذا التعليم لم يكن جديداً على الكنيسة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فإن بعض الآباء قبله علّموا به ، ولكن المونوفيسيين باتجاهاتهم المختلفة - معتدلة ومتطرفة - رفضوا هذا التعليم ، كما أن بعض الخلقدونيين أنفسهم

---

(1) D.T.C. Eutychianisme P. 160 8., Lebon a.p cit P. 24, 96.

(٢) أنظر كتابنا المجلد الثالث - تاريخ الفكر المسيحى ص ١٤٤ - ١٥٢ .

(3) Tixeront. 3. 127; Le Traité De Sectis Act. 5, 6, 10; 3 P.G., 86.1, Col, 1232, 1261; C. Bihlmexer - H. Tuchle. P. 359.

رفضوا هذه العقيدة[١] وكتبوا ضدها لدحضها والحكم عليها[٢] .

فأمام هذا الرفض الكلى لهذا التعليم اضطر الشماس ثيميستيوس أن ينفصل عن كل هذه الأحزاب ويكون حزباً آخر يدعى حزب الاغنيتيين (Agnoètes) .

حاولت الطوائف المونوفيسية – المعتدلة والمتطرفة – أن تنكر صلتها من قريب أو من بعيد بأوطيخا وتعاليمه . فإن يوليانوس الاليكريشى رفض رفضاً باتاً وبشدة بأنه أوطيخى . بل وكتب بعض الكتب ضد تلاميذ أوطيخا[٣] .

حاول معلمو وقادة اللاخلقدونيين الابتعاد بأى طريقة عن التحدث عن وجود طبيعتين ورفضوا حتى التحدث عن التمييز : أقول هنا التمييز وليس الفصل بين هذين الجوهرين لأنهم اعتقدوا أن أى تمييز بين العنصرين اللاهوت والناسوت يقود حتماً إلى فصل العنصرين : يعنى إلى التعاليم النسطورية التى رفضها كل المونوفيسيين معتدلين ومتطرفين .

وبذل المونوفيسيون المتطرفون كل جهدهم لتوحيد الطبيعتين فى طبيعة واحدة بعد الاتحاد وأنكروا كل تمييز أو فصل بين الطبيعتين . وهذا ما حاول القيام بعمله استفانوس النيوبى فهو يعتقد بأنه من المستحيل أن نميز – بعد عملية الاتحاد – بين اللاهوت والناسوت دون السقوط فى مخالب النسطورية . ولم يقبل دميان المونوفيسيتى رئيس أساقفة الإسكندرية (سنة ٥٧٨ – ٦٠٥) هذا التعليم . وبالرغم من هذا الحكم فإن استفانوس استمر فى نشر تعاليمه ليس فقط فى الإسكندرية بل فى أنطاكية أيضا فالتف حوله جماعة من الإسكندرية وأنطاكية وقاموا بنشر تعاليمه فى المنطقة . فاجتمع مجمع فى

---

(1) Tixeront 3. 128.
(2) De Sectis, 5, 6, Col, 1232.

تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة . لورنس فان موسهيم ص ٢٥٠ .

Green. o.p. cit. p. 300 - 305.
(3) D.T.C. (Eutychès et Euctychianisme, P. 1608; Lebon op. cit. P 174).

مدينة أنطاكية وحكم عليه وعلى تعاليمه مرة ثانية[1]" .

---

* لدراسة تعاليم ساويرس ويوليانوس والطوائف المونوفيسية المتطرفة أنظر :

R. Draguet; F. Loofs, Thlz 1925, 320 - 326; M. Jugie, Echos d'orient 1925 - 1929, 257; FR. Diekamp, Threv. 1927, 89, 93; J. Maric, De Agnoetanum doctrina, Zagreb 1914; The Sixth Book of the Select Letters of Severus, Patr, of Amntioch. London. 1902 - 1904.

(1) J. Tixeponit 3. 117.

E.W. Brooks The hymns of severus of ANT.. T. 6, 7. 1911. A. Kugener. Allocution; J.B. Chabot. Chronique de Miehel Le Syrien; A. Kugener, Vie de Sevère par Zacharie. E.J. Goodspeed. The Con Flict of Severus, Patr of Antioch by Athanasius T. 4, 1908, M. Lebon, dans Son Monophysisme Sévèrien... Three Monophysite Christologies Severus of Antioch... By Bobenta C. Chesnut.

الفصل السابع

الإمبراطور يوستينيانوس

(الصراع العنيف بين الخلقدونيين واللاخلقدونيين)

لقد بذل كل الأباطرة مونوفيسيين كانوا أم خلقدونيين كل حسب غيرته وحماسته جهداً ممدوحاً لتوحيد الكنيسة التى تعرضت للانقسام المريع فى سنة ٤٥١ بعد مجمع خلقدونية . فإن الأباطرة : ليون ، زينون ، انسطاسيوس يوستينيانوس وكثيرون غيرهم عملوا حال وصولهم إلى السلطان على توحيد الكنيسة والإمبراطورية . على أن يوستينيانوس قد امتاز فى بعض الصفات والمميزات فى أمور كثيرة ميزته عن هؤلاء جميعاً . وقبل أن ندخل فى دراسة الناحية العقائدية التى هى مركز بحثنا الحالى فى أثناء حكم الإمبراطور يوستينيانوس لنلقى نظرة تاريخية سريعة على شخصية الإمبراطور يوستينيانوس الأول .

مقدمة تاريخية :

لقد أُصيب الإمبراطور يوستينوس بمرض خطير وتوفى أول أغسطس ٥٢٧ م . وتولى بعده الحكم على الإمبراطورية البيزنطية ابن اخته فلافيوس بتروس سناتيوس يوستينيانوس . وما أكبر الفرق بين هاتين الشخصيتين . كان يوستينوس جندياً مغامراً ، لكنه لم يكن خبيراً فى الأمور السياسية والإدارية والاقتصادية ، لا بل أكثر من ذلك فإنه كان أمياً جاهلاً لا يقرأ ولا يكتب . ولكن عندما التحق بالحرس الإمبراطورى بدأت تظهر بصورة واضحة ومقنعة إمكاناته العسكرية الفطرية والمكتسبة . ولذلك فقد عُين قائداً لإحدى فرق الحرس الإمبراطورى . وعندما جلس على عرش الإمبراطورية كان قد تجاوز السبعين من عمره . أما يوستينيانوس ابن اخته و الذى وُلِدَ فى توريزيوم (Tauresiom) مقدونية فى سنة ٤٨٢ فكان على عكس ذلك تماماً وخاصة من الناحية الثقافية ، كان يوستينوس جندياً جاهلاً خشناً فظاً لا يعرف إلا لغة السيف والقوة والحرب والقتال ، كما كان يوستينيانوس جندياً هو أيضا واستعمل هو أيضا للأسف الشديد لغة القوة والسيف والضغط للوصول إلى أهدافه السياسية والدينية التى كان يهدف إلى تنفيذها . وبالرغم من ذلك فقد امتاز بصفات كثيرة وميّزته عن الكثيرين

من الأباطرة الذين سبقوه . كان يوستينانوس العالم مدين بدين كبير لخاله الإمبراطور يوستينوس الجاهل الذى أتاح له أفضل المدرسين للقيام بتهذيبه وتثقيفه وبذلك فقد حصل على قدر كبير من العلم والثقافة وقد ساعدته هذه العلوم كثيراً فى حياته السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

وعلى ما يبدو فإن يوستينيانوس كان ميالاً بطبعه إلى حياة البساطة التى تبعد كثيراً عن حياة البذخ والتبذير كباقى الأباطرة وحاشياتهم . فقد كان يعيش فى بلاطه الإمبراطورى العظيم كما لو كان ناسكاً ، لا يشرب الخمر قط متقشفاً فى طعامه ، فكان يكتفى بالقليل من الخضار ويأكله على عجل . ويصوم يومين فى الأسبوع[1] كان محباً للقراءة والدرس وخاصة دراسة الكتب المقدسة والعقائدية التى شغف بها شغفاً عظيما وأقبل على دراستها دراسة دقيقة .

وقد قاده ولعه بالتعمق فى الدراسات الكتابية والعقائدية إلى السهر فى مكتبة القصر الإمبراطورى ، حيث كان يدعو عدداً من الأساقفة والرهبان للحوار والمناقشة معهم فى بعض المشاكل والقضايا الدينية ، ولقد ظهرت ثمار تحصيله لهذه الثروة الدينية التعليمية فى كتاباته العقائدية التى كتبها فيما بعد[2] فقد قام بوضع تشريع كنسى ، وهو القانون الكنسى للكنائس الشرقية وما زالت بعض الكنائس التقليدية حتى الآن ترجع إلى بعض المواد التشريعية الكنسية الموجودة فى كتاباته وتطبيقها[3] إن دراساته الكتابية والعقائدية ، وحماسته الدينية وغيرته على الكنيسة ونجاح رسالتها ، عمّق فيه الشعور بمسئولياته العديدة والضخمة إزاء الكنيسة والإمبراطورية .

لقد تولى يوستينيانوس مقاليد الحكم كإمبراطور شريك لخاله يوستينوس فى ٤ أبريل سنة ٥٢٧ م نزولاً على رغبة مجلس الشيوخ بعد إصابة الإمبراطور يوستينوس بمرض خطير[4] وكان فى الخامسة والأربعين من عمره . وفى حقيقة الأمر فإن الإمبراطور العالم المثقف كان يشارك خاله فى الحكم منذ مدة طويلة قبل ذلك .

---

(1) A. Fliche et V. Martin. 4. 438; C.H. Diehl, Justinien. p. 14 - 22; Bury, op. cit. 23 - 27.
(2) Fliche et Martin 4. 438; L. Duchcesne L'Eglise au 6e Siecle. P. 173 - 180.
دكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٣٦٥ .
(3) P. Batiffot P. 220 - 227, A. Fliche. 4. 440.
(4) A. Fliche. 4. 437.

قام الإمبراطور الجديد بعد تتويجه على الإمبراطورية البيزنطية بعدة تغييرات فى الأمور الدينية والسياسية والاقتصادية ، فقد شعر بالكارثة التى سببها الانقسام المحزن المؤلم ، الذى تتعرض له الكنيسة والذى قد يقود الإمبراطورية إلى كوارث أبشع وأفظع ولأجل هذا السبب فقد حاول بعد تتويجه بذل كل جهد لتوحيد الكنيسة وتوحيد الإمبراطورية . وكان يعد نفسه شخصياً لمواجهة هذه المشاكل العقائدية والسياسية وإيجاد حل لها . ولكى يعد نفسه شخصياً لمواجهة هذه المشاكل ، والتعرف على أبعادها وخفاياها كان على اتصال مستمر بالقادة والساسة والرواد المحنكين سواء فى الإمبراطورية البيزنطية أو الرومانية . كما كان ينظم فى مكتبة قصره الإمبراطورى سهرات لدراسة بعض المشاكل الكتابية والعقائدية مع بعض صفوة من الأساقفة والرهبان العلماء فى عصره . كان الإمبراطور يوستينيانوس يشعر بشعور عميق جداً أكثر من أى إمبراطور من الأباطرة الذين سبقوه بمسئوليته والتزاماته إزاء الإمبراطورية والكنيسة . وهذا الشعور بالمسئولية الضخمة الثقيلة قاده إلى التدخل فى تنظيم شئون الأمور الخاصة بالدولة من حكم وتعليم واقتصاد ، وإدارة وحرب ودفاع ومالية . كما أنه تدخل أيضا بطريقة مباشرة وعملية فى الشئون الدينية . ولقد تدخل فى شئون الكنيسة وقيادتها لحل مشاكلها بطريقة لم يسبق لأى إمبراطور أن مارسها . فلقد ساعده تفهمه للمشاكل الدينية وخاصة العقائدية على التدخل فى مناقشة المشاكل العقائدية مع قادة الكنيسة وحزبيها الرئيسيين خلقدونيين ولاخلقدونيين . ولم يكن تدخله فى حل الصراع العقائدى قاصراً على الموافقة على قرارات المجامع والتوقيع على ما قرره الآباء ، بل كان يتدخل تدخلاً فعلياً ، لتمكنه من العلوم الدينية والكتابية ، فكان يكتب رسائل عقائدية يعرض فيها تفسيره الشخصى وتعليمه لبعض هذه العقائد ، ففى أحيان كثيرة انتحل لنفسه سلطان التفسير وتحديد الأمور العقائدية وإصدار قوانين لتطبيق هذه التحديدات والتعاريف الإيمانية دون رجوع إلى الكنيسة[1] وهنا نرى الفرق الكبير بين يوستينيانوس والأباطر الذين سبقوه .

كان الإمبراطور يوستينيانوس الخلقدونى متديناً كما كان متعصباً ومتحمساً لنشر التعاليم الخلقدونية ، مثل الإمبراطور انسطاسيوس اللاخلقدونى . وقد أوحى هذا التدين الممزوج بغيرة تعصبية للإمبراطور العالم ، بأن مسئوليته كإمبراطور متدين مسيحى ليس فقط

---

(1) A. Fliche. 4. 440; Bréhier, L. Pol. Rel. de Justinien,

الدكتور أسد رستم ص ٣٦٦ .

السهر على حماية المسيحية والدفاع عنها عندما تتعرض للخطر ، بل حاول نشر المسيحية فى كل الإمبراطورية مستعملاً فى بعض الأحيان الوعد والوعيد للوصول إلى هذا الهدف . ولذلك فقد قام بحملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين والهراطقة . على أنه لم يعتبر المونوفيسيين ، الذين قبلوا عقيدة الطبيعة الواحدة هراطقة ، لأنه كان يأمل فى إقناعهم ورجوعهم إلى حضن الكنيسة الأم . فمع أنه قام باضطهادهم إلا أن الاضطهادات التى تعرضوا لها كانت أقل عنفاً من الاضطهادات التى قام بها خاله يوستينوس ، كما أنها لا تقاس ولا تقارن بالاضطهادات التى شنها ضد الديانات الأخرى الوثنية وبعض الشيع المسيحية .

كان الإمبراطور يوستينيانوس يعتبر نفسه مسئولاً رسمياً وبطريقة مباشرة أمام الله والناس عن الكنيسة وعن الإمبراطورية . وبناء على ذلك فقد اعتبر نفسه أيضا الرئيس الأعلى للكنيسة وللإمبراطورية . ولذلك فقد عمل على توحيد الإمبراطورية من الناحية السياسية داخلياً وخارجياً ، وتوحيدها أيضا من الناحية الدينية ومصالحة الحزبين الرئيسيين الخلقدونى واللاخلقدونى .

وهذا الشعور بمسئوليته الثقيلة كإمبراطور مسيحى مسئول عن وحدة الإمبراطورية والكنيسة دفعه إلى اتخاذ بعض القرارات والقيام ببعض المشاريع والأعمال المختلفة المتنوعة والتى كان لها ثمار بعضها طيب وبعضها ردىء[1] . ولنحاول الآن أن نعرض البعض منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

١ – اهتمامه بالتبشير ونشر المسيحية

كان الإمبراطور يؤمن إيماناً عميقاً بأن وجود الوثنية فى الإمبراطورية أمر خطير وخطر على وحدتها وسلامتها . كما أنه كان يؤمن أيضا بأن نشر إنجيل المحبة والسلام ضرورى وحتمى لكى ينال الوثنى الخلاص والحياة الأبدية . وبناء على ذلك فإنه فكر فى تكوين إرسالية مسيحية وإرسالها إلى بعض المدن والقرى لكى تعلن لسكانها إنجيل الخلاص . ولقد وقع اختياره على رجل تقى حكيم وناسك ورع وهو يوحنا الأسيوى . وكان راهباً عالماً يجيد اللغة اليونانية والسريانية فعينه الإمبراطور

(1) C. Bihlmeyer - H. Tuchlé P. 372 - 375.

رئيساً للإرسالية المسيحية لتبشير الوثنيين . وقام فعلاً يوحنا الأسيوى مع عدد من الرهبان بزيارة بعض المدن والقرى . وأسسوا بعض الأديرة والرهبانيات . وانتشروا فى آسيا الصغرى وكانت لعظاتهم مفعول قوى حتى تلاشت الوثنية من جبال آسيا الصغرى فى أقل من سنة ، وكان الفلاحون يساعدونهم بفرح وحماس فى تحطيم الأصنام والمعابد الوثنية وقطع الأشجار المقدسة عند الوثنيين(١) وهو نفسه يعرفنا فى (جريدته) أو فى تقاريره اليومية ، بأن الرب هدى عن طريقه مائة ألف وثنى وقام ببناء حوالى مائة كنيسة وحوالى عشرة أديرة(٢) .

ومع أن التقرير الذى كتبه يوحنا الأسيوى (الأفسسى) يعلن عن زوال الوثنية من بعض الجبال والمناطق ، فقد بقيت فى مناطق كثيرة أخرى . وقد استعمل يوحنا الراهب هو والمرسلون الذين كانوا معه على ما يبدو أسلوب المحبة واللطف . ومن الغريب أن يوحنا تجنب أسلوب الجدل والنقاش العقائدى فلا يوجد أى أثر فى عظاته عن الطبيعة الواحدة(٣) .

٢ - استعمال العنف والاضطهاد ضد الوثنيين لإرغامهم على قبول المسيحية

لم يكتف الإمبراطور المتحمس بالإرسالية لنشر الإنجيل والقضاء على الوثنية لكنه لجأ إلى استخدام القوة ، ومن المؤلم ، أن نرى إمبراطوراً عالماً مثقفاً ذكياً متديناً ، دارساً ليس فقط للعلوم والحضارات المدنية والعالمية ، بل للكتب المقدسة أيضا . فإن هذا الأمر سوف يظل نقطة سوداء فى تاريخ الإمبراطور يوستينانوس وهو قيامه بحملة شعواء مسعورة لاضطهاد الوثنيين .

مما لا شك فيه بأن الوثنيين قابلوا صعوبات عديدة مختلفة من بعد حكم قسطنطين وخاصة فى أيام حكم انسطاسيوس ويوستينوس ، على أن هذه الاضطهادات وصلت إلى ذروتها وقمتها فى أيام الإمبراطور يوستينيانوس . فلقد رأى الإمبراطور بأن القوانين التى أصدرها أسلافه للتطبيق على الوثنيين والحد من نشاطهم ونشر تعاليمهم لم تكن

---

(1) Martin Fliche 4, 443.

(2) Denis de Tell - Mahre dans Revue de L'orient Chrétien, T. 2, 1897, P. 482; L. Duchesne, L'Eglise au 6e Siecle p. 2. 76 - 280; Michel Le Syrien, Edit. Cha Bot. 2, P. 207 - 210.

(3) Bréhier, L., Pol, Reli, Justinien, 4, 443.

فعّالة بدرجة كافية فعلى سبيل المثال كانت القوانين المعمول بها هى منع ممارسة العبادة الوثنية فى مكان عام ، كما أنها منعت تقديم المساعدات لإحياء هذه العبادات الوثنية . على أن هذه القوانين لم تطالب بملاشاة العبادات الوثنية . أما التشريع الذى قام يوستينيانوس بوضعه فقد كان يهدف لاستئصال الوثنية كلية من الإمبراطورية . ولقد أصدر دستوراً يرغم فيه كل الوثنيين بالذهاب إلى فصول خاصة بالتعليم المسيحى هم وأولادهم ونسائهم ، لكى يعدوا أنفسهم لقبول المعمودية . والذى لا ينفذ هذه المادة من الدستور تصادر ممتلكاته . كما أنه أصدر بعد ذلك قانوناً آخر يقضى بتنفيذ حكم الموت على أى شخص قبل المعمودية وبعد ذلك رجع إلى ديانته[١] .

مع أن المسيحية الحقيقية تناقض القوانين التى أصدرها الإمبراطور ضد الوثنيين وخاصة عقاب الموت للمرتدين عن المسيحية بعد عمادهم . إن مسيحنا ضد استعمال القوة والعنف والسيف لإرغام الناس على قبول الديانة المسيحية . فالمسيح المحب اللطيف لا يرضى بضرب الناس وقتلهم .

ففى القسطنطينية قبض على ٥٤٦ من الوثنيين المتقدمين والذين كانوا يحتلون مكانة ممتازة فى المدينة من الناحية الاجتماعية والعلمية وحكم عليهم بالضرب بالسياط . وبالرغم من ذلك استطاعت قلة من الوثنيين أن تقاوم هذه التيارات : ففى مصر قفل معبد أبيس فى سنة ٥٣٥ م ، ولكن بقيت معابد وثنية أخرى قائمة حتى نهاية القرن السادس . وأما العبادات الفرعونية والعادات القديمة للجنازات فظلت قائمة تمارس حتى القرن السابع[٢] وهذا دليل قاطع على أن العنف الذى استعمله الإمبراطور لم يأت بالأثمار التى كان يرجوها .

٣ - اضطهـــاد اليهـــود

كان موقف الإمبراطور من اليهود أخف وطأة وأقل صرامة من موقفه من الوثنيين . كما أنه حاول فى مناسبات كثيرة وفى ظروف مختلفة مساعدتهم على ممارسة

---

(1) Code Justin, 1, 11, 8 - 10; Fliche. 4. 443; Bury, Later Roman Empire, T, 2, 367.
(2) Jean Maspero, Hor a Pollon. T, 11.p 485; J Maspero Hist. des Patriarches. d'Alexandrie P. 34, Jean Maspero Meme Livrl. P. 47; Fliche. 4. 444.

ديانتهم . فقد سمح لهم بطريقة رسمية وعلانية بممارسة الديانة اليهودية بحرية . لكنه ذهب إلى أبعد من ذلك فى مساعدته للجماعات اليهودية المشتتة ، فقد أراد أن يتدخل فى شئونهم الداخلية وسن القوانين والتشريعات لتنظيم حياتهم الإدارية كما فعل فى الكنيسة المسيحية ، مبرراً هذا التدخل ، بأن عدداً كبيراً من اليهود لا يفهمون العبرية ؛ ولأجل هذا السبب ولأجل مساعدتهم لفهم ديانتهم طلب من معلمى اليهود بأن يقرأوا الكتاب المقدس فى المجامع باللغة اليونانية أو اللغة اللاتينية ، سواء من الترجمة السبعينية أو من الترجمة التى قام بعملها أكويلا Aquila فى القرن الثانى[1] .

على أن الإمبراطور لم يتخذ موقفاً إيجابياً من اليهود فى كل الأمور . فلقد كان اليهودى ممنوعاً من الشهادة فى المحاكم ضد المسيحيين الأرثوذوكس ، كما أنه كان ممنوعاً منعاً باتاً أيضا من أن يشترى أملاكاً خاصة للكنيسة أو أراضى معينة لبناء كنائس عليها . ولقد سمح لهم بأن يشتركوا فى أنشطة المدينة والقيام بمسئولياتهم التى تفرض عليهم ، ولكن كان اليهودى ممنوعاً من شغل مراكز إدارية عالية فى المدينة أو فى الدولة .

٤ - موقفه من السامريين

أما موقفه من جماعة السامريين فكان مختلفاً اختلافاً كليا إذ عاملهم بنفس المعاملة التى عامل بها الوثنيين تقريبا لأن السامريين اتخذوا موقفاً معادياً جداً للإمبراطور وللمسيحيين . وقاموا بعدة ثورات ضد الإمبراطورية فى عدة مناسبات مختلفة[2] . فقد قاموا فى سنة ٥٢٩ بثورة عارمة سالت فيها الدماء غزيرة عندما أعلن يوليانوس إمبراطوراً[3] ، ولقد راح ضحية هذه الثورة عشرون الفا وكما سجن عشرون ألفاً آخرين . كما أنهم قاموا بثورة أخرى فى سنة ٥٥٥ ، فقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين وحرقوا بعض الكنائس . فقام الجيش الإمبراطورى بقمعهم واستعمال الشدة والقسوة معهم وعاملهم معاملة الوثنيين فطاردهم أينما وجدوا وهدم مذابحهم[4] .

---

(1) Novelle 140 daté 552.

(2) Code Just., 1, 5; Code Justinien 1, 5.

(3) Fliché. 4.4, 46.

(4) Malalass 8; Chronique Pascale, P. 872, Jean de Nikiou T. 24, 1, 518, Michel le Syrien. edit. Chabot. T.2. P. 91.

٥ - موقفه من الهراطقة

مع أن يوستينيانوس كان خلقدونياً متعصباً لكنه لم يعرض المونوفيسيين لموجة الاضطهادات العنيفة التى مرّ بها الآخرون . وربما فعل الإمبراطور ذلك لأهداف سياسية ودينية أيضا. إذ اعتقد أنه من الممكن عقد معاهدة سلام ووحدة بين جماعة الخلقدونيين وغير الخلقدونيين خاصة وأنه كمعلم دارس للعقائد رأى عدة تعاليم مشتركة بين الفريقين . كما أن الإمبراطور كان يريد أن يتجنب أى نزاع مسلح تستعمل فيه القوة لأنه كان يعرف جيّدا قوة اللاخلقدونيين ووفرتهم وخاصة فى مصر . فإن الرهبان المصريين كوّنوا جيشاً قوياً كان على أهبة الاستعداد لتنفيذ أوامر بطريرك الإسكندرية .

أما الأحزاب الأخرى فقد كانت صغيرة وعديدة رأى فيها عاملاً للتقسيم لا للتوحيد وهو الأمر الذى كان يقاومه بكل قواه ، لهذه الأسباب أصدر أوامره بالتضييق عليهم فى مجالات كثيرة : فلقد طالب كل شخص يتقدم لشغل وظيفة فى الدولة بأن يقدم شهادة يوقع عليها ثلاثة شهود بأنه أرثوذكسى . كما كان ممنوعاً على الهرطوقى أن يشغل وظيفة محامى أو مدرس ... إلخ ، ولم يكن مسموحاً للهرطوقى أن يشهد فى المحاكم ، أو يمتحن ، أو يحصل على ميزات . كما كان محروماً من ممارسة الشعائر الدينية ، أو إقامة الخدمات الروحية ، أو ممارسة العماد ، كما أمر بغلق كنائسهم[١] ، وقد عانت الجماعات التى اعتبرت هرطوقية وخاصة جماعة المونتانيين (Montanistes) اضطهادات عنيفة وقاسية ووحشية .[٢]

كما اضطهدت جماعة المانيكيين (Manicheens) ، وقد قاسى الأريوسيون أيضا من اضطهادات مريعة قاسية ، إذ طردوا من وظائفهم وتم الاستيلاء على أموال كنائسهم وسلمت للكنيسة الأرثوذكسية . كما صدرت الأوامر بطردهم من كنائسهم ، ونفى كهنتهم[٣] .

إن الاضطهادات التى تعرض لها أتباع الشيع الأخرى المسيحية كانت قاسية وفى

---

(1) CH. Diehl., Justinin P. 324 - 327.

(2) Fliche. 4. 447; Michel Le Syrien, édit Chabot, T, 2, P. 269; L, Duchesne, L'Eglise au 6e Siecle, P. 280.

(3) A. Fliche 4, 447 - 448.

بعض الأحيان وحشية فاقت فى قسوتها وعنفها الآلام والاضطهادات التى تعرض لها اليهود . هذه اللمحة التاريخية التى سوف تساعدنا الآن على فهم بعض المشاكل العقائدية الكرستولوجية والخاصة بوجود طبيعة واحدة أو طبيعتين فى شخص المسيح فى الفترة التى حكم فيها الإمبراطور يوستينيانوس الخلقدونى ، لنتقدم الآن لدراسة هذه المشكلة التى كانت تشغل بال القادة المسيحيين والمدنيين فى هذه الحقبة من الزمن . ولكن قبل أن ندرس هذه المشكلة من الناحية العقائدية والتاريخية لنلقى نظرة سريعة جداً على شخصية فى غاية الأهمية وقد قامت بدور فعال هام جداً على الصعيد الدينى والسياسى فى الإمبراطورية البيزنطية ألا وهى الإمبراطورة ثيودورا .

ثيــــودورا Theodora

لم تحصل ثيودورا على لقب إمبراطورة بزواجها من الإمبراطور فقط كما هو متبع بل جعلها زوجها إمبراطورة شريكة له فى الحكم والإدارة . كان يوستنيانوس خلقدونياً ، أما ثيودورا فكانت لاخلقدونية . ويلاحظ دارسو التاريخ العالمى وتاريخ العقائد فى هذه الحقب التاريخية ظاهرة غريبة ، إذ أن معظم الإمبراطورات إن لم تكن كلهن تقريباً كن لاخلقدونيات وساعدن من أموالهن جماعة اللاخلقدونيين . وحتى الإمبراطورة بلخريا التى شاركت فى الحكم الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وماركيانوس والتى وافقت على مجمع خلقدونية وقراراته . كانت على ما يعتقد مونوفيستية ، وكانت تساعد كيرلس الإسكندرى كما كان يرسل لها ولحاشيتها رسائله العقائدية . وقد ثارت فى عدة مناسبات وصبت غضبها على نسطوريوس ، كما كانت الإمبراطورة افدوكية (أو أدوسيا) (Eudocia) زوجة الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى من الذين اعتقدوا بتعاليم الطبيعة الواحدة . ولم تكتف بالاقتناع العقلى فقط بل كرست جزءاً كبيراً من مالها ومن وقتها لجماعة اللاخلقدونيين وخاصة بعد أن نشب النزاع الشديد بينها وبين زوجها وبنيها وبين أخت زوجها . فلقد انطلقت إلى أورشليم لكى تعيش بالقرب من المضطهدين المونوفيستيين ومد يد المساعدة لهم وخاصة الرهبان الذين أخذوا على عاتقهم مقاومة الخلقدونية أينما وجدت ونشر المونوفيسية[1] .

---

(1) A. Fliche. 4. 279; V.C. Samuel. 92 - 95; Dr. W. Moeller. Hist of Chris... Church P. 421 - 424.

ويبدو بأن ثيودورا قد تقابلت مع ساويرس رئيس أساقفة أنطاكية قبل زواجها وربما كان هو الذى شرح لها التعاليم المونوفيسية . ونحن نعلم أن ساويرس زار مصر عدة مرات وأقام بها .

على أن البعض يعتقد بأن ساويرس تقابل مع ثيودورا فى سوريا وربما كانت من أصل سورى[1] . تربت ثيودورا فى وسط بسيط متواضع جداً ، وقال بعض المؤرخين فى وصفهم للبيئة التى تربت فيها « إن ثيودورا تلطخت منذ حداثتها بفساد البيئة المحيطة بها لأنها نشأت فى مسارح القسطنطينية ابنة لمروض الدببة » .[2] . ويواصل بروكوبيوس وصفه لها بأنها كانت راقصة خفيفة فى مسارح الإسكندرية والقسطنطينية وملاهيهما . ويعتقد أيضا بعض المؤرخين بأن ثيودورا كانت قد أنجبت طفلاً عند زواجها من الإمبراطور[3] .

طلب يوستينيانوس الزواج من هذه الفتاة الخفيفة الماجنة الراقصة فى الملاهى . وبعد زواجها من هذا الرجل العظيم تغيرت حياتها جزئياً وكلياً ، ولا نعلم بالضبط ما هى العوامل التى ساعدتها ودفعت بها على هذا التغيير الكلى ، هل مقابلاتها ومناقشاتها العديدة سواء فى الإسكندرية أم فى أنطاكيا مع ساويرس رئيس الأساقفة الذى قادها إلى قبول الرب يسوع المخلص فتجددت على يديه ؟ أم أن مقابلتها مع يوستينيانوس الذى كان هو أيضا رجلاً تقياً متديناً يكاد يكون ناسكاً فى حياته قادتها إلى الطريق الصحيح ؟ لسنا نعلم بالضبط لكن ما نعرفه هو أن ثيودورا تركت الهزل والاستهتار واللهو ، وكرست وقتها وحياتها ومهاراتها وقدراتها فى خدمة الكنيسة . ولقد قبلت مثل ساويرس عقيدة الطبيعة الواحدة فى شخص المسيح يسوع[4] . أما زوجها فكان خلقدونياً ،

---

(1) A. Fliche. 4. 441 - 442.

(٢) د . أسد رستم – الجزء الثالث – ص ٣٦٧ .

Proco Pios. Hist. Arcana 9. 25,
Diehl., Justinien. P. 16 - 20.
Debidour, لدراسة حياتها قبل وبعد الزواج ادرس :

L'Impératrice Théodora, Paris 1885; C.H. Diehl, Figures byzantines, T, 1, 1906. P. 50 - 75.

(3) A. Fliche. 4. 441.

(4) Moeller. 541 - 544; W, P, Du Bose. S.T.D. P. 30 - 33; J. Héfelé Hist. des Conciles. T. 3. P. 870 - 875.

يؤمن بوجود طبيعتين فى المسيح ويقبل قرارات مجمع خلقدونية . كانت الإمبراطورة تتمتع بعدة مواهب ، الإقناع فى المناقشة والصبر فى العمل بنشاط وبدون ملل ، الغيرة الدينية والحماس لنشر المذهب المونوفيسيتى . ولقد قال فيها المؤرخ السورى – ميشيل : « لقد اهتمت بالأمور الدينية وسلام الكنيسة أكثر من اهتمام الإمبراطور نفسه »[١] . وعندما جلس الإمبراطور يوستينيانوس على العرش جعلها إمبراطورة شريكة معه فى حكم وإدارة أمور الإمبراطورية[٢] . واستطاعت ثيودورا بالمواهب التى أشرنا إليها سابقاً أن تعمل بذكاء وفاعلية . وبفضل نشاطها وتدخلها المتواصل انتشرت المونوفيسية ليس فقط فى البلاد التى كانت تحتوى على أغلبية مونوفيسية ، بل فى القسطنطينية نفسها . بل أن طموحها تعدى هذه الحدود ، فلقد كانت تنوى أن تجعل من مدينة روما معقلاً للمنوفيستية ، ولذلك فقد تمّ بينها وبين فيجيليوس معاهدة سرية وعدت فيها أن تساعده للوصول إلى البابوية على شرط أن يعمل على مساعدة المونوفيسيين وإلغاء قرارات مجمع خلقدونية وقبل فيجيليوس هذا الشرط السرى ولكن بعد وصوله إلى كرسى روما لم يغير مذهبه بل ظل خلقدونيا يدافع عن عقيدة الطبيعتين فى المسيح[٣] .

كان تأثيرها ونفوذها عظيمين من الناحية السياسية والإدارية ، فحال وصولها إلى العرش اقترحت على الإمبراطور إرجاع المنفيين من المونوفيسيين أو على الأقل البعض منهم ، وفعلاً رجع عدد كبير من المونوفيسيين قادة ورهباناً[٤] . كما كان شغلها الشاغل ليس فقط حماية ومساعدة المونوفيسيين ، بل فتح قلبها وقصرها لاستقبالهم ، ولم تكف قط عن دفع الإمبراطور لكى يجد طريقه لعمل صلح دائم مستمر بينهم وبين الخلقدونيين[٥] .

صار تأييد الإمبراطور لجماعة المونوفيسيين جهراً أمراً معروفاً ، فإنها لم تكتف باقناع الإمبراطور أن يعيد المنفيين من المونوفيسيين إلى بلادهم فقط ، بل فتحت لهم حرية

---

(1) F.X. Murphy et. Sherwood. Const. 2, 3. P. 61 - 64.
(2) Michel Le Syrien, Chabot, 1, 2, P. 192 - 194.
(3) J. Hefelé T. 3. P. 870 - 980;
F.X. Murphy. Const... 2, 3. 71 - 74.
(4) Michel Le Syrien, 2. 176 - 178; Duchesne, L., Les Protegés de Theodora, ... 1915, 56 - 80; Michel Le Syrien. 2. 196 - 204.
(5) L., Duchesne. Les Proteges de Théodora, T. 3, 1915.

الظهور فى المدينة[1] وكان هذا ممنوعاً على الرهبان الذين رجعوا من المنفى . وقد لجأ إليها الرهبان الذين تشتتوا من جراء الاضطهادات الشديدة التى شنها ضدهم الإمبراطور يوستينيوس بعد أن رجعوا فى سنة ٥٣١ م من الرها وأماكن أخرى ، فساعدتهم الإمبراطورة على تأسيس دير حسب نظامهم الرهبانى فى قصر الهورميسداس Hormisdas . ولقد بلغ عدد رهبانه خمسمائة راهب[2] .

كل هذه المجهودات والتضحيات والعمل المستمر فى الخفاء والعلانية للعمل على نشر المونوفيسية دفع المونوفيسيين لنسج أكاليل المجد والعظمة والفخار ليضعوها على رأس ثيودورا المونوفيسية . فإن يوحنا الأفسسى يدعوها الإمبراطورة الأمينة التى أقامها الله للدفاع عن المظلومين[3] ، أما رئيس أساقفة أنطاكية ساويرس فيلقبها بالملكة المتعبدة لله[4] . كانت الإمبراطورة ثيودورا شعلة من النشاط والغيرة وكان هدفها ليس فقط حماية المونوفيسيين الذين قاسوا اضطهادات عنيفة قاسية أثناء حكم الإمبراطور يوستينوس ، بل نشر هذه التعاليم على أوسع نطاق ، كما أنها كانت تعمل أيضا بغيرة واهتمام بجانب الإمبراطور لإيجاد حل سريع دائم لفض الصراع بين الخلقدونيين والمونوفسيين .

---

(1) Michel, Lesyrien. Chabott, 2. 177; Diehl, Théodora, 252.
(2) A. Fliche. 4, 449.
(3) Jean d'Ephese, Comment. P. 138, 154, 157 - 160.
(3) Zacharias De Mitylène, Hist eccl., 9, 20.

الفصل الثامن

الخلافات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس

إن الخلافات والمشاكل التى أُثيرت فى القرنين الرابع والخامس حول شخص الرب يسوع المسيح ، تُعد فى تاريخ الفكر المسيحى من المواضيع العقائدية الهامة جداً ، وخاصة الانقسامات التى حدثت بسببها . ففى هذين القرنين ازدادت التساؤلات عن الأفكار والمفاهيم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح . ففى هذين القرنين غزت الكنيسة أفكار وتعاليم كثيرة ، كما ظهر أيضا عدد كبير من المعلمين والآباء الأكفاء الذين استطاعوا بتقواهم وعلمهم وكتاباتهم إعلان الحق الإلهى وكشف الهرطقات الخبيثة ورفضها .

فعندما ظهر الكاهن الليبى آريوس ببدعته فى القرن الرابع (سنة ٣٢٠) قامت كنيسة الإسكندرية وعلى رأسها أسقفها الكسندروس وشماسه العظيم القديس أثناسيوس وفندت أفكاره ورفضتها . ولقد علّم أريوس كما سبق الإشارة إلى ذلك بعدم مساواة جوهر الآب بجوهر الابن ، وعدم أزلية الابن . كما أنه نادى أيضا بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، إذ أن اللوغوس هو الذى حلّ محل الروح . وعندئذ قام استاثيوس الأنطاكى بالدفاع عن وجود روح بشرية فى المسيح . ولكن لم تصل المجادلات والخلافات العقائدية الخاصة بالروح البشرية فى المسيح إلى ذروتها إلا بعد ظهور أسقف لاودكية ، الذى علّم بأن اللوغوس لم يأخذ إلا جسداً خالياً من الروح البشرية وأن الكلمة حل محلها . ولم تقبل الكنيسة هذا التعليم بل رفضته كل من كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا وكنيسة روما . وأصدرت قرارات بحرم ومنع هذا التعليم . وهكذا رفضت الكنيسة عامة التعاليم التى أنكرت وجود روح بشرية فى المسيح . ولقد قام الآباء بمقاومة هذه البدعة وكتبوا وعلّموا ضدها . لأن معظم الآباء رأوا فى هذه البدعة خطراً عظيماً يهدد ناسوت المسيح . فالمسيح بدون روح بشرية عاقلة هو مسيح ناقص التكوين . ولهذا السبب هبّ بعض المعلمين يكتبون ضد التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . وكان هدف الكنيسة والآباء من هذا الهجوم هو هدم وملاشاة هرطقة أريوس وأبولوناريوس .

ولقد انقسم هؤلاء الآباء فى دفاعهم ورفضهم لهاتين الهرطقتين إلى حزبين أو تيارين : وهما تيار الازدواجية فى المسيح وتيار وحدانية الطبيعة . ويعوزنا الوقت لو تعرضنا لشرح أفكار كل الآباء الذين انضموا إلى تيار الازدواجية أو التوحيدية فى هذه الفترة . ولذلك سوف نستعرض عدداً قليلاً منهم للتعرف على تعاليمهم الكرستولوجية .

المدرسة الازدواجية الأنطاكية والتشديد على ناسوت المسيح

عندما ظهرت البدعة الأريوسية قامت الكنيسة حالاً ضدها وحاربتها . ومن الذين حاربوا هذه البدعة ، القديس أثناسيوس . ثم جاء أيضا بعد ذلك ابولوناريوس وشن حرباً شعواء ضد الأريوسية . على أن أبولوناريوس قد انحرف فى دفاعه ضد الأريوسية فارتكب أخطاء عقائدية ، أدت فى النهاية إلى حرمه وقطعه من الكنيسة .

فعلى ما يبدو فإن انتشار الأريوسية دفع جماعة من العلماء فى أنطاكيا إلى البحث والدرس والتفكير . وعلى ما يظن بأن هذه الجماعة تكونت فى حوالى سنة ٣٦٠ ولقد انضم إليها فيما بعد أقطاب لامعون من الكنيسة ، مثل ديودوريوس الطرسوسى ويوحنا فم الذهب وثيودوريوس الموبسيوستي . ولقد قام هؤلاء ، وخاصة ديودوريوس وثيودوريوس بالهجوم العنيف على التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . وانضم هؤلاء المعلمون إلى التيار العقائدى الذى يدعى (لوغوس — أنثروبوس (Logos - Anthropos) أى (الكلمة — الإنسان) وهو التيار العقائدى الذى تبعه عدد كبير من معلمى مدرسة أنطاكية . فلقد شدد الأنطاكيون على حقيقة وواقعية ناسوت المسيح لكنهم رفضوا أيضا التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية التى أنكرت وجود روح بشرية فى المسيح . ونادوا بأن المسيح كان يتكوّن مثل كل إنسان آخر من روح بشرية عاقلة ومن جسد ، ثم من اللوغوس أو ابن الله . فلم يكن الكلمة أو ابن الله هو الروح المُحرك فى جسد بدون روح بشرية ، كما علّم بذلك الأريوسيون والأبولوناريوسيون ، بل إن ابن الله أو الكلمة تجسد فى الإنسان يسوع المسيح الناصرى ، وهذا الإنسان كان مكوناً من روح بشرية عاقلة وجسد . وهذا ما يسمى فى علم العقائد بالتعاليم الكرستولوجية من نوع (الكلمة — الإنسان Word-Man) . ولنبدأ الآن بدراسة بعض الشخصيات التى نادت بهذه التعاليم وكيف حاول هؤلاء المعلمون الإجابة على سؤال المسيح فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » ؟ .

الأسقف ديودوريوس الطرسوسي

أشرنا سابقاً إلى قيام جماعة من الآباء المعلمين ضد التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . ومن ضمن هذه الجماعات التى رفضت لا بل حاربت هاتين الهرطقتين ، ظهرت جماعة في أنطاكيا ، وكان من بين أعضائها البارزين ديودوريوس الذى سيصير فيما بعد أسقفاً لمدينة طرسوس .

١ - حياته

وُلِدَ فى العشرات الأولى من القرن الرابع فى أنطاكيا . وكان على ما يبدو من عائلة تميّزت بالثراء والثقافة . ولذلك استطاع أن يذهب إلى بلاد اليونان ليدرس فى عاصمتها[١] ولا نعلم بالضبط متي شعر بالدعوة للرهبنة هل فى أثينا أم فى أنطاكيا مسقط رأسه ، على أننا نعرف بأنه انخرط فى سلك الرهبنة منزوياً فى دير بالقرب من أنطاكيا حيث قضى هناك عشر سنوات من حياته فى الصلاة والدرس والتأمل العميق . ولقد تقابل فى هذا الدير مع شخصيتين سيلمع نجمهما فيما بعد وسوف يلعبان دوراً هاماً جداً فى تاريخ العقيدة المسيحية . وهما القديس يوحنا فم الذهب وثيودوريوس الموبسيوستى . فقد تتلمذا وتعلما على يديه[٢] وتربع الأول على كرسى أسقفية القسطنطينية (فى سنة ٣٩٨ م) والثانى صار أسقفاً فى سنة ٣٩٢ م على مدينة موبسيوست .

كان الراهب ديودوريوس حاراً فى إيمانه كثير الإطلاع واسع المعرفة ، متحمساً لديانته . ولذلك لم يستطع هذا الرجل أن ينزوى وراء جدران الدير مصليا صامتا ، عندما رأى الظروف المحزنة والمؤلمة التى كانت تمرّ بها الكنيسة . ففى هذا الوقت هبّت عواصف وأمواج عاتية لتحطيم الكنيسة وملاشاتها . فمن داخل المسيحية كان يرى الرجل انتشار الأريوسية وخطرها[٣] ومن خارجها كان يرى التهديدات والاضطهادات التى قام بها الإمبراطور يوليانوس الجاحد . ولهذا السبب فقد ترك الدير وخرج للنضال والدفاع عن المسيحية المهددة فى عقيدتها من الأريوسيين ، وفى وجودها من الإمبراطور يوليانوس المرتد ومن الوثنيين .

---

(1) Joseph Turmel. Hist. des. Dogmes... 301.

(2) Tixeront 257.

(3) ....

فعندما صار يوليانوس إمبراطوراً (سنة ٣٦١ م) صب غضبه واضطهاداته على المسيحيين[1] و لم يكتف بتعذيب المسيحيين بل قام أيضا بحملة هجوم على تعاليم المسيح والكنيسة ، ولقد كتب كتاباً ونشره ، على ما يحتمل فى حوالى سنة ٣٦٢ ، وفيه قام بهجوم عنيف على « الجليلى » والجليليين منتقداً فى كتابه هذا لاهوت المسيح وعبادته ، معتبراً إياه إنساناً فلسطينياً « مجرد إنسان » . كما أنه انتقد أيضا لقب أم الله لمريم العذراء .

وكان لابد أن يدافع المسيحيون عن تعاليم المسيح وعن عقيدتهم ضد أكاذيب هذا الإمبراطور . ومن ضمن الذين ردوا على اتهامات الإمبراطور يوليانوس المرتد عن المسيحية ، ديودوريوس الطرسوسى . وقد ذكره الإمبراطور نفسه فى كتابه بالقول : « فبمساعدة الآلهة والآلهات ... سوف نثبت أن إلهه ، (أى إله ديودوريوس) الجليلى الجديد ما هو إلا خرافة ، فموته وقبره جَرَّداه بطريقة مخزية من اللاهوت ومن الأزلية اللتين اخترعهما ديودوريوس[2] » .

كان ديودوريوس يحارب على جبهتين ، كان يحارب ضد الإمبراطور يوليانوس المرتد ، وضد الهرطقات التى انتشرت فى أنطاكيا . ولقد مات يوليانوس الإمبراطور مقتولاً فى الحرب فى سنة ٣٦٣ وعلى ما يعتقد الدكتور أسد رستم أن فارساً مسيحياً من فرسانه رماه بسهم فقضى عليه[3] .

٢ - إرتقاؤه للدرجات الكهنوتية

على ما يحتمل أن ديودوريوس بدأ حياة الرهبنة والتنسك ما بين سنة ٣٥١ ، ٣٥٥ م ، ولقد خرج من الدير بعد عشر سنوات ثم سيم كاهناً ، وهنا بدأ صراعه ضد الإمبراطور . فعلى ما يظن فإنه سيم كاهنا فى مدينته أنطاكيا فى سنة ٣٦١ م أو فى سنة ٣٦٥ م . واستمر فى صراعه ونضاله ، فنُفى فى سنة ٣٧٢ ، ثم رجع من المنفى وبعد رجوعه نُصّب أسقفاً على مدينة طرسوس فى سنة ٣٧٨ م .

---

(1) Tixeront 257 — د . أسد رستم ٢٣٦ - ٢٤٠

(2) Grillmeier. 304.

(3) Grillmeier (306) — د . أسد رستم الجزء الأول ص ٢٣٦ - ٢٤٠

ويعرفنا جيروم بأن ديودوريوس واسابيوس الأماسى (Eusèbed' émèse) كانا على علاقة صداقة شديدة قوية . وعلى ما يحتمل فإن هذه العلاقة بين المعلمين ممكنة ، لأن اسابيوس كان يذهب كثيراً إلى مدينة أنطاكيا ، بل إنه دُفِنَ فيها . ولقد تساءل بعض العلماء فيما إذا كانت تعاليم الواحد لم تؤثر فى تعاليم الآخر ، إذ أنهما كانا يتلاقيان وكانا متفقين فى نقاط كثيرة[1] .

حضر ديودوريوس المجمع المسكونى الثانى العام فى سنة ٣٨١ الذى عقد فى القسطنطينية . وعندما صدّق الإمبراطور ثيودوسيوس (Theodose) على قرارات هذا المجمع ، لُقِّب ديودوريوس بلقب بطل الإيمان[2] ، وقد تنيّح أسقف طرسوس فى سنة ٣٩١ أو فى سنة ٣٩٢ م . وبكته كنيسته ومدينته ، لأنه كان أشهر من نار على علم ، بسبب مواقفه السياسية فى دفاعه عن المسيحية ومعارضته لكتابات وقرارات الإمبراطور يوليانوس الجاحد . كما أنه كان معروفاً ومكرماً ومحبوباً فى كنيسته . إذ أنه كان يُعد عموداً من الأعمدة القوية الراسخة وقائدا من قواد الكنيسة المسموعى الرأى[3] .

ولقد ظل هذا المعلم يتمتع بشهرة عظيمة فى حياته كلها ، وحتى بعد موته كانت تعتبر تعاليمه من التعاليم التى تعتز بها الكنيسة الأنطاكية . ولكن بعد حوالى خمسين عاماً من موته ، وبعد أن احتل فى الكنيسة بشخصيته وبتعاليمه مكانة مرموقة ممتازة ، فإن القديس كيرلس المصرى اكتشف فى صراعه ضد نسطوريوس ، بأن النسطورية عميقة الجذور . فلقد اعتقد كيرلس بأن جذور تعليم النسطورية وأصلها يرجعان إلى تعاليم ديودوريوس أسقف طرسوس . ولم يتردد أسقف الأسكندرية فى إعلان هذا الأمر والكتابة ضده[4] . فعندما ظهرت كتابات كيرلس ومعارضته لتعاليم أسقف طرسوس بدأت سمعة هذا الأخير فى الزوال ، وبدأ نجمه اللامع يخفت . فمع أن كيرلس لم يستطع الوصول إلى حرمه ، فإن معارضته والمنادة ضد تعاليمه قلّلت كثيراً من التقدير الذى كان يكنّه له الكثيرون وخاصة الكاثوليك ، مما أدى فى نهاية الأمر إلى فحص ودراسة تعاليمه . ففى مجمع القسطنطينية الذى عقد فى سنة ٤٩٩م ، دُرست قضيته ثم أُصدر

---

(1) Grillmeier 303 - 314.
(2) J. Kellx. 312.
(3) J. Kellx. 312.
(4) J. Tixeront 13.
ثم انظر أيضا Cyrille Epist. Xlv, Lxv 11; Lxix, Lxx 1 Col. 229, 336, 340, 344.

حكمٌ ضد تعاليمه . على أن المجمع الخامس الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٥٥٣ م قد حكم ببراءته[1] .

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان الآن هو الآتى : هل كان كيرلس الإسكندرى محقاً أو مخطئاً فى إثارة الشبهات حول تعاليم الأسقف الطرسوسى ؟ هل كان ديودوريوس هرطوقياً أو أرثوذكسياً ؟ للإجابة على هذين السؤالين لنحاول الآن دراسة تعاليمه ، وكيف حاول هو أيضا بدوره أن يجاوب على سؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » ؟ .

٣ – تعاليم ديودوريوس الكريستولوجية

كتب أسقف طرسوس عدداً كبيراً جداً من الكتب وخاصة الكتب التفسيرية وبعض الكتب العقائدية . ولكن للأسف الشديد أن أغلبية هذه الكتب ، إن لم تكن الأغلبية الساحقة منها قد فُقدت ؛ ولم يتبق لنا من كتاباته إلا بعض الشذرات أو الأجزاء القليلة . ويعتقد كيلى (Kelly) أن تبعثر هذه الآثار الباقية من أعماله ، وعدم التأكد من صحة بعضها لا يسمح لنا باعطاء فكرة كاملة واضحة عن تعاليم ديودوريوس الكريستولوجية[2] .

إن معظم الوثائق الخاصة بتعاليم ديودوريوس وصلت إلينا عن طريق أضداده . فإذا كنا نريد أن نفهم أفكاره العقائدية الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ، علينا أن ندرس الكتب التى كتبها ضده المخالفون له فى الرأى . ويعطى لنا م . ريتشارد M. Richard مصدرين لدراسة كتابات الأسقف الطرسوسى :

١ – دراسة الكتاب الأول الذى كتبه كيرلس الأسكندرى ضد ديودوريوس ، لأن كيرلس كتب ضد تعاليم ديودوريوس وضد تعاليم ثيودوريوس الموبسيوستى .

---

(١) بخصوص الحكم على ديودوريوس وتعاليمه وتبرئته . الرجا الرجوع إلى المراجع المذكورة فى نهاية هذا الفصل . وخاصة :

C. Bihlmeyer - H. Tuchle. Histoire de l'eglise. 374 - 377; J. kelly 312 - 313, J. Tixeront 12 - 13.

(2) J. Kelly. 312 - 313.

٢ – ثم دراسة بعض النصوص التى اقتبسها كيرلس فى كتاباته ضد ديودوريوس[١] . كما يمكننا أيضا أن نجد بعضاً من تعاليمه فى النسخة السريانية تحت رقم (Cod. 12 156) . ومع أن هذه الوثائق العقائدية طُبعت من حوالى أكثر من مائة عام إلا أن محتوياتها لم تكن معروفة . وربما يرجع الأمر فى ذلك إلى حقيقة أن أعين العلماء والباحثين لم تقع على هذه الوثائق ولم يهتم أحد منهم بتقديم بحث عن شخصيته أو عن تعاليمه . ولكن فى سنة ١٩١٥ قدم فيتسوف نيكولاس Fetisov Nicolas[٢] بحثا عن الأسقف الطرسوسى . ثم جاء بعد ذلك فى سنة ١٩٤٦ م . برير (M. Briere) الذى قام بترجمة بعض الفقرات من كتاباته السريانية إلى اللغة الفرنسية . ومن ذلك الوقت بدأ العلماء والباحثون يهتمون بدراسة حياة وتعاليم ديودوريوس الطرسوسى . فما هى إذن تعاليمه عن شخص الرب يسوع المسيح ؟ .

لقد سبق أن عرفنا من دراساتنا فى الصفحات السابقة بوجود مدرستين أو اتجاهين عقائديين . الاتجاه التعليمى الذى ينادى بعقيدة (الكلمة – جسد : اللوغوس – ساركس) (Logos - Sarx) ولقد اتبع كثير من معلمى الإسكندرية هذا التيار[٣] . ثم رأينا اتجاهاً آخر ، وهو الذى اتبعه عدد كبير من معلمى أنطاكيا وهو (الكلمة – إنسان : لوغوس – انثروبوس) (Logos - Anthropos) . والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو : إلى أى جماعة أو تيار تعليمى من هذين الاتجاهين انضم أسقف طرسوس ؟ وهل يمكننا أن نحدد بطريقة واضحة وأكيدة بأنه كان ينادى بعقيدة (الكلمة – جسد) أو بعقيدة (الكلمة إنسان) ؟ .

إن الأمر الأكيد هو أن أسقف طرسوس كان من الذين قاوموا وحاربوا تعاليم أبولوناريوس التوحيدية . وكما سبق أن أشرنا بأن كاهن أنطاكيا وأسقف طرسوس فيما بعد ، كان يحارب على جبهتين فى وقت واحد : كان يحارب ضد الارتداد وترك الديانة المسيحية ، الأمر الذى دعا إليه الإمبراطور يوليانوس المرتد . (فإن هذا الإمبراطور نادى

---

(1) F.A. Sullivan S.J. The Christology of Theodore of Mopsuestia... 172 - 180.

(2) Fetisov Nicolas. Diodore of Tarsus Research Essay of eccl.. Hist. on His Life and His Activity. Kiev. 1915.

(٣) الواقع أن قول بعض العلماء لهذا الكلام لا يطابق الواقع . وقد رد الكاتب نفسه على ذلك مفنداً فى كتابه : تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٦٠ ، ٦١ .

بأن يسوع الناصرى لم يكن إلا مجرد إنسان فلسطينى) . ثم حارب أيضا ضد تعاليم أبولوناريوس التوحيدية ، ولقد رفضها وهاجمها بشدة . فهل هجومه لتعاليم أبولوناريوس الذى كان ينهج منهاج مدرسة (الكلمة – جسد) يعنى بأنه كان يتبع تيار (الكلمة – إنسان) ؟

لقد انقسم علماء تاريخ الفكر المسيحى فى دراساتهم لتعاليم ديودوريوس إلى قسمين : فإن القسم الأول يرى بنوع من التحفظ بأن تعاليم الأسقف الطرسوسى هى تعاليم من نوع (الكلمة – جسد) : مثل أ . جريلمير A. Grillmeier[1] ثم أبراموسكى L. Abramowski[2] . كذلك أيضا كيللى J. Kelly[3] .

أما الطائفة الثانية من العلماء فى تاريخ العقيدة المسيحية فقد رأت فى تعاليم ديودوريوس تيار (الكلمة – إنسان لوغوس – انثروبوس = Logos - Anthropos) . ومن بين هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، ف . أ . سيولفن (F.A. Sullivan)[4] والعالم م . جيوجى أو جيجى (M. Jugie)[5] والمؤرخ هـ . مارو (H. Marrou)[6] ولا ننسى كل من توخله وبيلماير (C. Bihlmeyer - H. Tuchle)[7] .

وهنا نسأل ، فعلى أى أساس بنى الفريق الأول مفهومه عندما وضع معلم طرسوس مع الذين نادوا بعقيدة (اللوغوس – جسد) ؟ إن هذا الفريق من العلماء لا يدعى بأن ديودوريوس كان يتبع عقيدة (اللوغوس – جسد) كما علّم بها آريوس أو أبولوناريوس . لأنه حارب تعاليمهما بكل ما أوتى من قوة وعلم ، ولا حتى كما علّم بها معلمو الإسكندرية . ومع ذلك فإنهم يرون فى تعاليمه ميلاً كرستولوجياً إلى عقيدة (الكلمة – جسد) . ولقد سبق أن شرحنا معنى هذه العبارات بالنسبة لأتباع آريوس وأتباع أبولوناريوس . وأتباع معلمى الإسكندرية . فالرجاء الرجوع إليها فى محلها (ص ٤٩ – ٦١ ، من هذا المجلد) .

---

(1) Grillmeier 303 - 313.
(2) L. Abramowski Voir Liebaert 156 - 157.
(3) J. Killy 312 - 313.
(4) F.A. Sullivan 181 - 183.
(5) M. Jugie. Cité Par F.A. Sullivan.
(6) H. Marrou. 383.
(7) C. Bihlmeyer - H. Tuchle. 347.

إن ج . ليبرت (J. Liebaert) يعتقد بأن الذين رأوا فى ديودوريوس معلماً قد نادى بالازدواجية وبعقيدة (الكلمة – إنسان) يستمدون براهينهم من بعض المخلفات من كتابه الذى كتبه ضد أبولوناريوس ويدعى (Contra Synousiastas) وهو الكتاب الوحيد الذى كرسه لمعالجة مشكلة التجسد ، والذى لم نعرفه إلا عن طريق بعض الاقتباسات التى اقتبسها منه القديس كيرلس . وليبرت يعتقد بأن هذه الفقرات الباقية والمقتبسة من كتاباته تؤيد فعلاً عقيدة الازدواجية ، على أنه يعتقد أيضا أن هذه النصوص قد تعرضت لنوع من التشويه . والدليل على ذلك هو أن الدارس للبقايا الأخرى من كتابات أسقف طرسوس يستطيع أن يدرك بأن تعاليمه الخاصة بالتجسد غير دقيقة . فهو يستعمل عبارة (الكلمة – جسد) عندما يتكلم عن التجسد أكثر من استعماله لعبارة (الكلمة – إنسان) ؛ كما أن روح المسيح لا تحتل فى تعاليمه إلا مكانة باهتة وغير واضحة . ومن هذا نفهم بأنه لم يتمسك بتعاليم استاثيوس[1] . وفليبرت يرى إذن فى ديودوريوس معلماً لعقيدة (اللوغوس – جسد) .

والعالم جريلماير (A. Grillmeier) يقدم لنا تحليلاً لتعاليم ديودوريوس ، ويحاول فى هذا التحليل أن يبّين أولاً العلاقة القوية التى ربطت أسقف طرسوس بمعلم آخر وهو الأسقف أسابيوس الماسى (Eusèbe d'émèse) . وعلى ما يعتقد القديس جيروم فإن الروابط التى ربطت هذين المعلمين هى علاقة الأستاذ بتلميذه[2] . إن هذه العلاقة ممكنة لأن أسابيوس وُلِدَ حوالى سنة ٣٠٠ م وتنيّح فى سنة ٣٥٩ م[3] ، وكان يذهب إلى أنطاكيا بطريقة مستمرة ومنظمة . وهنا يتساءل جريلماير عما إذا كان يوجد تشابه فى تعليم الاثنين ؟ أو هل أثّر أحدهما فى الآخر من الناحية العقائدية ؟ . ومن الواضح والغريب أيضا أن تعاليم أسابيوس الأماسى هى تعاليم من نوع (الكلمة جسد : لوغوس – ساركس) . ففى معرض حديثه عن المسيح سواء حياً أو ميتاً لا يشير لا من قريب أو من بعيد عن وجود روح بشرية فيه أو عن وجودها كعنصر حقيقى أساسى فى شخص المسيح . وفى شرحه لحادثة موت المسيح يعتبر أن هذا الموت هو نتيجة انفصال القوة عن « الجسد » أى انفصال الطاقة العاملة التى تمثل لاهوت المسيح عن

---

(1) J. Liebaert 156 - 157.

(2) Jerome de Viris Illustr 119 ed G. Herding, Hieronymi de Viris Illustibus, Liber. Leipzig 1964, 62.

(3) Ebuytaert. Heritage Litteraire d'eusebe (61 - 69).

جسده[1] ، أى أن موت المسيح هو عبارة عن رحيل أو مغادرة الطاقة الإلهية أو الروح الإلهىّ . مُن هذا يتضح بأن أسابيوس الأماسى نبّر فى تعاليمه على نقطتين فى غاية الأهمية : **النقطة الأولى هى** : أن أسقف أماسى أهمل فى تعليمه الكلام عن وجود روح بشرية فى المسيح . أو لم يتحدث عنها بوضوح . **والنقطة الثانية هى** : أن أسابيوس نادى بتعاليم ازدواجية (Le dualisme) فهو يتكلم عن الجسد (Sarx) كما لو كان شيئاً مستقلاً وقائماً بذاته ، ويتكلم أيضا عن الروح ، ليس روح المسيح البشرية ، بل الروح المحرك (Pneuma) أو الطاقة الإلهية (La dynamis divine) كما لو كان كائناً مستقلاً وقائماً بذاته . وهنا نرى نوعاً جديداً من التعليم : فهو ينادى بعقيدة (اللوغوس – ساركس = الكلمة – جسد) وفى نفس الوقت يشدد على الأزدواجية (Le dualisme) فهو يتفق مع معلمى الإسكندرية فى إهماله الحديث عن الروح البشرية فى شخص المسيح . كما أنه يتفق أيضا مع معلمى أنطاكيا عندما يتكلمون عن عنصرين أو جوهرين فى المسيح . ولا ننسى أن أسابيوس كان تلميذاً لسميّه يوسابيوس القيصرى ، وهذا الأخير كان يُعتبر حلقة الوصل بين الأريوسيين والأرثوذكس ، وكان يعرف جيدّاً التعاليم الآريوسية . فمن المحتمل إذن بأنه تأثر بتعاليمه وبالتعاليم الأريوسية ، (Monophysisme) ثم تيار التعليم الازدواجى (dualiste) والذى سيقود هو أيضا إلى المناداة بوجود طبيعتين كاملتين فى المسيح . والذى يدعى بالتعاليم الازدواجية (dyophysisme ou dualiste) هذان هما التياران العقائديان اللذان ظهرا فى الكنيسة من أول القرن الرابع .

فلأجل هذه الأسباب العقائدية ولأجل أسباب سياسية وأسباب أخرى عُقِدت المجامع المحلية والمسكونية لفض النزاع ولإيجاد حلول لهذه المشاكل العقائدية والسياسية التى كانت تمزق الكنيسة ، جسد المسيح . وسوف نتعرض فى دراساتنا المستقبلية لتحليل وفحص هذين التيارين اللذين ظهرا فى الكنيسة وسيطرا على تعاليمها . وسوف نتناول بالتحليل بعض الشخصيات التى قادت هذين التيارين فى كلتا الكنيستين .

كان الراحل الدكتور القس حنا جرجس الخضرى يخطط لعشرة أجزاء من هذه السلسلة ، ولكنه رحل قبل أن يستكملها .

---

(1) Grillmeier 291 - 298; Eusèbe d'émèse Ed. Buytaert 9.